

علی مقہمی بلبل

رواية: على مقهى بلبل
تأليف: أحمد أمين، محمد أمين
الناشر: مؤسسة تبارك
الطبعة الأولى ٢٠١٧
رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٧٢٤
ترقيم دولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٨٥-١١-٩
تصحيح لغوي: عمرو ملش
إخراج فني: سمر محمد
تصميم الغلاف: أحمد زردق

حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لمؤسسة تبارك - ٢٠١٧

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أو نقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقة خطية من الناشر مقدما

مؤسسة تبارك للنشر والتوزيع

نشر - توزيع

0020/01007224444-01143900097

e-mail:

m.z2000@hotmail.com



علی مقہمی بلبل

أحمد أمين
محمد أمين



الإهداء

إلى

ذلك الشعب الساخر، الباسم في وجه
الزمن، من ينتزع ضحكته من رحم اليأس،
ويستخلص دعابته من قلب المعاناة، من
يضحك ليبقى صامدا في وجه الزمن.

مأخوذة عن

قصة خطوبة ثورية

الحاصلة على المركز الثالث على مستوى الجمهورية
في المسابقة الأدبية الكبرى، دورة موسى صبري

٢٠١٤

تأليف : أحمد أمين

الفصل الأول

الليبرالية

إن الإنسان لا يستفيق ولا يعي حقيقة الأمر إلا وهو تحت وابل الصدمات الرهيبة التي تنهال على رأسه لتزيح ركاما هائلا من الأفكار البالية والمعتقدات الخاطئة، التي ترسّخت داخله خلال سنوات عمره.

وحدها الصدمة المؤلمة هي القادرة على كشف حقيقة الشيء أو الشخص مهما حاول أن يخفي باطنه بادعاء ظاهر كاذب، فالصدمة تجعل الإنسان على سجيته تماما وتخرج من داخله تلك الشخصية التي يحاول إخفاءها عن عيون الناس.

وذلك الكشف لا يتأتى إلا عن طريق التجربة، والتجربة لا تتأتى إلا عن طريق المغامرة، وبعض المغامرات يخوضها الناس من أجل المتعة وبعضهم يخوضوها مجبرين لا مختارين، وقد كنت أنا أحدهم ..

حين قاربت سنوات عمري على الثلاثين قررت أن أتخذ خطوة روتينية في حياة كل إنسان، هي خطوة كما قالوا عنها "شرّ لا بد منه" ولذلك قررت مصاهرة ذلك الشر ونييل القرب منه آملاً ألا تحرقني نيرانه وأغرق في بحر أهواله، لكنني كنت مخطئاً وبشدة فذلك الشر لا نجاة منه ولا مناص.

الزواج مصطلح ثقيل معناه البسيط ارتباط شخصين ببعضهما

البعض، أما معناه الحقيقي فهو ارتباط عقليين متنافرين من بعضهما البعض ليصبح بينهما صراع أبدي لا ينتهي حتى يفارق أحدهما الحياة، ولم أع ذلك المعنى إلا حين قررت الزواج.

في الزواج نحن بين خيارين، أن نقرب فنحترق، أو لا نقرب فنندم على ذلك، كثيرا ما حدثتني نفسي أيهما أكثر أُلماً، الوحدة والعزوبية، أم الزواج؟ أيهما أيضاً هو الأجدر بالارتباط والبقاء في حدوده.

لم أع كل تلك الأمور وأفهمها إلا حين خضت تلك المغامرة المجنونة والغير متوقعة، من أجل البحث عن ليلى الخاصة بي.

أؤمن بأن كل إنسان مقدّر ومقسوم له ليلى الخاصة به، وهو يمضي عمره ويفنيه في البحث عن تلك الفاتنة التي تأسر لُبّه وتعدّد وثاق حياته، ويبدأ الرجل في تفحص وجوه النساء وأجسادهن باحثاً عن ليلاه، ويمضي في ذلك وقتاً طويلاً، البعض ينجح في بحثه والبعض يظن أنه نجح حتى يكتشف أنه قد ظفر بليلى غيره، وهنا تحدث مشاكل الطلاق والخلافات الزوجية وغيرها، والسبب الذي لا يعرفه الكثيرون أن هؤلاء ضلوا طريقهم إلى ليلى الخاصة بهم وأخذوا ليلى غيرهم، والسبب الخفي في فشلهم هو بحثهم وتفريسههم للوجه والجسد متناسين أهم ما يميز ليلاهم، العقل والتفكير..

لذا عليك أن تكون حذرا وأنت تبحث عن ليلاك، فأنا لم أكن حذرا
بما فيه الكفاية وكدت أن أسقط في فخّ لا مناص منه لكنّ الله سلم ..



في ذلك الصباح الممطر الشاحب، حيث تختلط قطرات المطر بتراب
القاهرة، مثيرة تلك الرائحة النفاذة التي أعشقها وأنتظر فصل الشتاء كل
عام من أجلها، رائحة يعرفها كل محبّي المطر والشتاء أمثالي ولا يجدونها
غير في مصر.

كنت أهبط سلالم العمارة بسرعة فقد تأخرت كعادتي على العمل،
ومن شدة سرعتي في القفز على درجات السلم كدت أن أصطدم بذلك
الصاروخ القوي الذي ظهر أمامي فجأةً، فكَبَحْتُ فرامل قديمي وفرامل
نفسي بكل صعوبة حتى لا أصطدم به فيحدث ما لا يُحمد عقباه..

كانت فتاة صارخة الجمال متفجّرة الأنوثة وقد أضفّت عليها تلك
الملابس الغير محتشمة بريقا لا تخطئه عين خبرة مثلي.. بدون أن أدري
انطلق مني صفيرا حادا فرمقتني الفتاة بنظرة لا تدري هل هي استهجان
أم إعجاب بصفيري وقبل أن أبدأ في توجيه سيل الغزل العفيف وغير
العفيف فوجئت بجاري ذلك الشاب السيس رامي يظهر أمامي وهو
مضطرب بشدة.. فالفتاة التي جعلت خبرة مثلي يقف هكذا مبتلا، زائغ

النظرات، وضربات القلب تتسارع بشدة، فما بالك بذلك الشاب السيس.

_ ازيك يا أستاذ أحمد؟

قالها رامي وهو يمد يده إليّ بالسلام فجذبتته من يده ليصعد درجة السلم خلفي بدون أن أرفع نظري عن الفتاة:

_ إطلع إنت يا رامي .. هخلّص المصلحة دي وبعدين أشوفك.

صرخ الولد بحدّة وهو يدبذب بقدميه على الأرض مثل الأطفال:

_ في إيه يا أستاذ أحمد عيب كده .. دي ريهام خطيبتي.

_ الأسد ده خطيبتك!!

قلتها باستهجان واضح أو حسد أو كلاهما معاً فردّ عليّ رامي بحدّة غير لائقةٍ عليه:

_ إنت بتقول إيه!! .. عيب كده يا أستاذ أحمد؟

_ سيك من العيب وقولي إنت جيبت البطل ده منين؟

_ بطل !!! .. الأستاذ رفاعي هو اللي جابها.

_ رفاعي المعفن هو اللي جابلك البطل ده!!

_ عيب كدا يا أستاذ أحمد، كلامك جارح لمشاعري.

قالها رامي وهو يديب بقدميه على السلم وسحب الفتاة من يدها صاعداً بها تاركا إياي أتصّبب عرقاً.

_ وقعت واقف يابن اللعيبَة.

كان الزواج بالنسبة لي مرحلة خطيرة لا أتحمّل عواقبها، فكيف أتخيّل نفسي ذلك الشخص الذي يهرع بعد انتهاء عمله ليتناول الغداء مع زوجته وأطفاله، لتستقبله الزوجة على الباب بوابلٍ من الشكاوى متبوعاً بوابلٍ من الصرخات عن شقاوة الأطفال ومشاكلهم، ثم تبدأ مرحلة .. قوم ذاكر للعيال .. تلميها مرحلة .. المدرسة طلبت وليّ الأمر .. تلميها مرحلة .. الواد الصغير عنده إسهال .. تلميها مرحلة .. هدوم العيد .. هدوم الصيف ... عايزين نصيّف .. مصروف العيال ... مصروف البيت ... اااااااااا هو أنا كافر يا جدعان.

في البداية نجحت في تجاوز عقبة الزواج واستبداله بجهاز بلايستيشن 4 وشاشة ضخمة واشترك سنوي في باقة القنوات العالمية التي تبث الدوريات العالمية والأوروبية.

لا توجد متعة تضاهي ذلك .. وهي أيضاً موقرة للغاية مقارنة بتكاليف الزواج، لكن في النهاية لابد من الزواج وإن طالّت العزوبية.

يقول أهل الحكمة: "ما نفر منه نفر إليه"

كانت ليلةً صافيةً راتقةً، لم يعرّ صفوها غير أنفاس الشيشة التي ملئت الأجواء من حولي في ذلك المقهى الفاخر، وفي تلك الليلة اتخذت قراراً.

أمسكت بهاتفى بتردد باحثاً عن رقم الجنرال حتى وجدته وضغطت زر الاتصال، ففي ظل تلك الظروف لن يساندني سواه، إنه الجنرال حرب.
يقول أهل الحكمة: في عتمة الليل الحالكة، وفي طريقك نحو ممر الموت، حاملاً روحك على كَقْكَ، يجب أن يكون معك رفيق، ولقد كان معي حرب.

قبل أن أفتح فمي بكلمة اندفع كالصاروخ:

_ حبيبي وسيدي وسيد الناس .. والله كنت لسه هكلمك ... مزنوق في ١٠٠ جنيه .. ومتخفش هدّيهملك أول الشهر..

"كلمة سيد الناس لزّمة على لسان حرب كلما تكلم معي، بيحاول يثبّتي بيها عشان موضوع الفلوس"

الجنرال حرب يعيش السلف ويكره الرد، لم أرفض له سلفاً طوال حياتي، وهو أيضاً لم يردّ لي سلفاً، بعد كل مرة أقسم بأغلظ الأيمان ألا أعطيه ثانية، لكن حين تحين تلك الثانية لا أستطيع رفض الطلب، لعله أسلوبه المقنع في الطلب، أو نظرة البراءة المطلّة من عينيه حينها، أو

أسبابه الملققة التي لا تحتمل الرفض، ذات يوم جاءني طالبا سلفة لأن بواسيره في خطر، فهل أتخلى عن بواسيره وأسلمه لتلك الآلام القاتلة، لكن بعد فترة اكتشفت أن بواسيره في خير حال.

نسيت أن أعرفكم بالجنرال حرب .. بالطبع ليس جنرال ولا حتى عسكري، هو حاصل على دبلوم تجارة، يصغرني بثلاث سنوات، نحيل الجسد، رفيع الوجه، معتدل الطول، يدخن بشراهة شديدة، عمل في كافة المهن بداية من الغفير حتى مُشرف عمال، أما سبب لقب الجنرال فبسبب شقاوته الشديدة في صغره والتي تسببت في حدوث عاهة في قدمه، يعرج على اثرها حتى اليوم، هو بمثابة التابع لي أينما حللت حلّ وأينما نزلت نزل.

أذكر أنني إبان ثورة ٢٥ يناير افتقدته فلما سألت عنه قالوا لي هو في الميدان. ولم يعد على الألسنة سوى:

_ حرب راح الميدان .. حرب جه من الميدان.

يومها تساءلت كيف تحوّل ذلك الكائن من لا شيء إلى كائن ثوري مناضل، وشاء العليّ القدير أن تقودني قدمي إلى الميدان لأستطلع أمر أهله، وبعد لفّ ودوران كلّت قدمي فاتجهت إلى أحد باعة الشاي وطلبت كوبا، لأفاجأ بأن حرب هو من يقدّم لي الشاي.

_ إنت جاي تبيع شاي يا حرب، يعني مش جاي عشان الثورة!!

_ أسأرعلينا يا سيد الناس، دي سبوبة حلوة والميدان مليون، وعايزين نستزق.

كان هدف حرب أن يبيع كوباً لكل فرد في الميدان، فعلى حد قوله هذا هو الحل الجذري لكل مشاكله.

_ تصور لو بعت كوباية واحدة لكل شخص في الميدان، هلم مبلغ محترم، أعرف أفتح بيه مشروع كويس وحياتي تستقر.

_ والله وجهة نظر تحترم يا حرب.

لكن أمنية حرب القصوى كانت أن يُصبح من مصابي الثورة.

_ وليه متكونش من شهداء الثورة؟

_ الشهداء مبيخدوش حاجة، الورثة هما اللي بياخدوا، لكن تصوّر لو أصبت هنا، هبقى من مصابي الثورة وأهف مبلغ كويس.

_ بس إنت مش تائر، إنت بتاع شاي وجاي تقلّب عيشك.

_ محدش هنا يعرف حاجة غيرك، الناس كلها مفكراني ثوير كبير (قصده تائر.. دبلوم تجارة معلش).

تجمعني بحرب صلة قرابة وصلة صداقة، فهو بمثابة رفيق السوء
وصانع الأحلام، أنا أفكر وهو ينفذ، في الماضي كانت لنا صولات وجولات
أيام الصبا والشقاوة.

انتهزت فرصة طلبه للسلفة وطلبت منه الحضور الفوري، فالأمر هام
وعاجل، ربع ساعة وكان المأفون جالس أمامي رافض التحدث في أي
موضوع قبل أن تدفئ المائة جنيته جيبه، وقد كان.

_ أوامرني يا سيد الناس.

قالها وهو يغمز المائة جنيته في جيبه، ثم يخرج سيجارة كليوباترا من
داخل علبة مارلبورو، ويدخنها بشراهة.

_ عايزك في مهمة يا حرب.

_ حرب في الخدمة .. أطلب إنت بس..

_ عايزك تقبّ وتغطس تعرف رفاعي فين اليومين دول.

_ وإنت عايز إيه من رفاعي؟

_ وإنت مال أهلك .. عايزه وخلص ... عايز منه طلب ضروري.

_ والله العظيم حرام عليك .. إنتوا كدا .. تحبوا الغريب .. ما أنا

موجود وأجيبك أحسن من رفاعي وأرخص كمان .. لكن هنقول إيه

قالها بغضب وسخط وهو يرجع برأسه للخلف، فنظرت إليه بحدة:

_ وانت عارف أنا عايز إيه من رفاعي!!

_ هو رفاعي عنده إيه غير الحشيش!!

قالها وهو يهز كتفيه بثقةٍ بالغةٍ.

_ الله يخرب بيتك هتودينا في داهية .. دماغك راحت فين؟ .. أنا عايز

رفاعي يجيب ليا عروسة.

وقعت الكلمات على حرب كالصاعقة.

_ تتجوز؟ ليه؟

_ هو إيه اللي تتجوز ليه !! عايز اتجوز زيّ الناس.

_ يقول أهل الحكمة: "الصديق الحقيقي هو من يكون بجانبك عند

البحث عن الزوجة، وينصحك بعدم الزواج"

_ بس إنت كنت مطمئن الموضوع ده خالص.

_ مرحلة وعدت يا حرب، مش تحقيق هو .. عايز اتجوز وخلص،

وعايز المخفي رفاعي يشوفلي عروسة من عنده.

_ طب ما تشوف إنت بنفسك إنت صغير؟

_ وأنا أشوف منين ولا أعرف عرايس من فين؟

_ أجيبلك أنا؟

قالها حرب بثقة وهو يضع قدما على قدم ويأخذ نفساً عميقاً من
السيجارة.

_ إنت أهبل يا حرب .. إنت كل معارفك شمال، أنا محتاج رفاعي
ضروري.

_ هو رفاعي فاضي للحاجات دي .. رفاعي خلاص وصل.

_ وصل فين؟

_ بقى من الناس المشهورين .. واشتغل ناشط سياسي .. وطول النهار
والليل مقضها قنوات ومداخلات.

_ رفاعي بقى ناشط سياسي!!!

قلتها والدهشة تكاد تقتلني فردّ حرب ببساطة:

_ أه ... وبيناقش الدستور كمان .. وطالب تعديلات فيه.

_ وكمان طالب تعديلات .. هي البلد خربت من شوية .. رفاعي
الحشاش بقى ناشط ..

لم أصدق نفسي وحرب يريني مشاهدا لرفاعي مع بعض القنوات.

_ إنت عارف سِكةَ الزفت ده؟

_ عارف .. قهوة بلبل، بيععمل هناك صالون ثقافي كل يوم ثلاث.

_ قوم بينا عليه.

رفاعي في الأربعينيات من عمره، معتدل الطول، مستدير الوجه، بشرته تميل للسمرّة المصرية، ما إن ترى ملامحه حتى تقسم بأغلظ الأيمان أن هذا الرجل مصري صميم، بداية من شكله وطريقة كلامه وأسلوبه وفهلوته وطريقة تدخينه للسجائر والشيشة، من المستحيل أن يكون غير مصري.

رفاعي رجل صاحب مزاج عالي، ليس له عمل محدد من النوعية التي يمكن أن تطلق عليها "بتاع كل حاجة" سمسار كل شيء ومفتاح كل باب، لا أذكر متى تعرفت عليه لكن أتذكر أنه ملجأ في كل موقف أردت فيه العون والمساعدة قبل أن يتوب الله عليّ.

لكن رفاعي ليس مثل كل السماسرة تفرّد عنهم بكونه يعمل خاطبة ومُوقِّع رؤوس في الحلال، كل راغب في الزواج أوراغبة سيرتهم الذاتية لدى الرفاعي، كثيرا ما كان يداعبني قائلاً:

_ بكرة تيجي ليا يا أبو حميد طالب مني عروسة.

_ أنا أجيلك يا جاهل يا عربييد .. أنا راجل متعلم ومستحيل أتجوز
بالأسلوب ده، وبعدين مش مكسوف من نفسك فيه راجل بيشتغل
خاطبة!!

كنت أقولها بغضب بالغ وأنا أنظر إليه باحتقار، تذكرت تلك الكلمات
والتوكتوك يمزق بنا كالسهم وسط تلك الحوارى المتعرجة الضيقة ليصل
بنا إلى مقهى بلبل.

يقع مقهى بلبل في حارة شعبية، من نوعية تلك الحوارى التي تُتيح
لك التنقل بين البيوت من خلال النوافذ والبلكونات بسبب ضيق المسافة
بينهما، ووسيلة المواصلات الوحيدة هناك هي التوكتوك، فهو الوحيد
القادر على الوصول بك إلى مجاهل الحارة، مخترقا أكوام النفايات
وشواطئ المجارى الطافحة، وأفواج البشر الهادرة، واصلاً بك بأمان إلى
قهوة بلبل.

كان رفاعى جالسا مُنتشياً وهو في غاية السرور والسعادة، فها أنا رغماً
عن أنفى آتى إليه زاحفاً طالباً منه نجدتى وإتحافى بعروس من ضمن
معارفه.

نفخ رفاعى عدّة أنفاس من الشيشة في الهواء وكأنه يطلق دخان
انتصاره، معلنا سقوط آخر معاقل أعداء زواج الصالونات تحت ضربات
الرفاعى الحشاش.

_ والله لك وحشة يا أستاذ أحمد .. الواحد بتوحشه القعدة معاك.

قالها رفاعي بصدقٍ شعرتُ به فرددت عليه بمجاملةٍ كاذبةٍ:

_ القلوب عند بعضها يا رفاعي ياخويا .. وبعدين ما إنت خلاص بقيت
رجل مشهور ومش فاضيلنا.

_ إخص عليك يا أستاذ أحمد، عمري ما أكبر عليكم .. وبعدين
موضوع إني ناشت سياسي عمليّ وجع في دماغي ..

_ ناشت .. ما علينا ... وعملك وجع ليه بقى؟

لَوْح بيده في الهواء بغيظ بالغ ثم وضع قدم على الأخرى وهو يقول
بحدّةٍ بالغَةٍ:

_ بقت شغلانة لكل من هبّ ودبّ ... الدكاترة والمهندسين والصبيّ وكل
واحد مش لاقى له شغلة .. يقولك أنا من النوشتاء، ويطلع يهلفت
بالكلام في التوك شو .. الناس بقت مفكره النوشتاء دي حاجة
سهلة .. هما دوول اللي بوظوا صورة النوشتاء لدن الرأي العام.

_ لدن مين يا رفاعي ... اسمها لدى .. عامة إنت طول عمرك ناشط
كبير .. من أيام ما كنت بتبيع السيديهات الثقافية.

ارتبك رفاعي واعتدل في جلسته وانحبست أنفاسه وبدأ في الكحّ .. ثم
نظر إليّ بعتاب:

_ إيه يا أستاذ أحمد بلاش الكلام ده .. حد من الزملاء المنافسين
يسمع كده يعمل مداخلة مع الإبراشي يسوّ سمعتي .. اسْتُرْ عليّ
الله يستر عليك ..

_ ماشي يا رفاعي .. لما نشوف آخرتها معاك إيه ..

رَبّت حرب على كِتِف رفاعي برفق كأنه يمهد له ما نحن مقبلين عليه:

_ إحنا عايزينك في خدمة يا عم رفاعي.

_ مش قلتكم .. مسير الزمن يلفّ ..وتحتاجوا رفاعي.

قالها المأفون بفخرٍ واضح فانتفضت مدّعيًا الغضب:

_ قوم يا حرب.. ده هيتنك علينا من الأول، مفيش غيره ولا إيه،
الدنيا مليانة عالم زّيّه.

وقفَ رفاعي في لهفةٍ وهو يُجلسني مبديا أسفه واعتذاره:

_ وأنا أقدر يا أستاذ أحمد .. أنا بهزر.

جلست وأنا أتصنّع أمارات الغضب .. فمهما كان ما سيقوله الملعون

رفاعي يجب أن أتحمّل فليس أمامي سواه.

حاول حرب تلطيف الأمور:

_ خلاص بقى يا عم أحمد، الراجل قال إنه بهزر، وبعدين رفاعي ده

حبيبنا، وعِشْرَة عمر.

ابتسم رفاعي في فرح وهو يغمز بعينه:

_ أنا في الخدمة .. أنا اللي جوزت نص جيلكم.

خبط حرب على ركبتي وهو يبتسم:

_ رفاعي هو الحل، لا تقلق.

الواد ده غشيم وهيطمع رفاعي فينا .. الله يحرقك يا حرب.

بدأ رفاعي في سحب عدة أنفاس من الشيشة .. وهو يُعطي المخ
علامات التشغيل والاستعداد.

- وطلباتكم إيه؟

قالها بصيغة جادة .. فتبادلت النظرات مع حرب بحيرة بالغة.

_ بص يا رفاعي .. أنا عايزها بنت ناس ومحترمة، وتكون حلوة.

_ أتبع حرب قائلًا وهو يغمز بعينه بصياغة:

_ وتكون وَتكة!!!!

هوت يدي على وجه حرب فأسكتته تماما.

ألفاظك دي هتسوء سمعة الرواية، وممكن الرقابة تصادرها.

_ رواية إيه؟

_ إسكت خالص..

عاد رفاعي للحديث حول العروسة من جديد، فتذكرت على الفور
رهبام خطيبة رامي.

_ عايزها زي الأسد بتاع الواد رامي السيس.

ابتسم رفاعي بنقمة وهو يضع رجل على رجل:

_ أنا اللي جبتهاله .. كل اللي عند رفاعي ولاد ناس .. وحلوين .. لكن إتم

عايزين دماغها عاملة إيه؟

_ دماغها .. هي بتحشش؟

قلتها أنا و حرب بصوت واحد وبدهشة .. فاعتدل رفاعي في جلسته وهو

يقول بجديّة:

_ لا قصدي فكرها .. انتماءها .. الحاجات دي يعني .. العرايس

دلوقتي بقت اتجاهات.

تبادلت النظرات مع حرب بحيرة بالغة قبل أن أتكلم بحيرة:

_ إحنا مش فاهمين حاجة .. شوفلنا حاجة كويسة وخلص، أهم

حاجة السرعة، أنا مستعجل جدا.

قبل أن أختتم كلماتي تسرّبت إلى أذني تلك الكلمات الآتية من شاشة

التلفاز فأصغيت إليها، كان أحدهم يتكلم:

_ " الليبراليون هم أناس ظرفاء لطفاء.. يؤمنون بتعدد الآراء.. والتفكير العقلي العلمي السليم.. وبحريّة الإنسان في التفكير .. والتعبير عن أفكاره .. وعدم الحجر على آراء الآخرين .. حتى لو اختلفت معهم في أفكارهم، الليبراليون هم أصحاب التحضّر والرقى الآن.

_ على الفور صحتُ في وجه رفاعي وأنا أنقمص دور أرشميدس ..
"وجدتها وجدتها"

_ أنا عايز واحدة ليبرالية.

نظر إليّ رفاعي في ارتباك واضح وهو يجاهد لنطق كلمة ما فبادرته
بالسؤال:

_ إيه ... معندكش ولا إيه؟

اعتدل بسرعة وهو يرمقني بثقة:

_ عيب يا أستاذ أحمد .. أنا رفاعي .. متوقّرة عندي بعون الله .. هما
الطلب عليهم كثير .. بس متخفش طلبك عندي.

همّمت بالكلام لكن فجأة دخل القهوة شابٌ في العشرينيات من عمره
وتوجه بسرعة نحو حرب ووجهه لكُمةً قويةً إلى وجهه فأحدثت دويًا هائلًا
في المكان وأطاحت بحرب خارج القهوة والشاب يصرخ بصوت مكتوم من
الغضب.

قمتُ أنا ورفاعي بالإمساك بالشاب الذي كان في ثورة هائجة، لكن
نجحنا في النهاية في إيقافه قبل أن يفتك بحرب.

_ إيه اللي حصل؟ بتضرب حرب ليه؟

قلتها وأنا أصرخ في وجه الشاب غاضباً فقاطعني رفاعي بسرعة:

_ مش هيفهمك ده أحرص.

تواصل رفاعي مع الشاب بطريقته وفهم منه الموضوع.

_ الله يخرب بيتك يا حرب لسه فيك الحركات دي!!!!

_ حركات إيه يا رفاعي متقلقنيش .. حرب بطل الحاجات دي من زمان.

نظرت إلى حرب كان متكوماً وعاجزاً عن الكلام وهو يئن من الألم،

فردّ رفاعي قائلاً:

_ مش اللي في دماغك.. الولد بيقول إنه عنده كُشك سجاير وحرب

خد منه قاروصة من شهرين ومش عايز يدفع حسابها وكل يوم

يقوله بكرا .. وبكرا بتاع حرب مبيجيش.

هبّ حرب من مكانه واقفاً بكبرياء وشموخ ممزوج بعنطزة:

_ متقولش كده يا عم رفاعي .. أنا هدف بس بالقسط.

ترجم رفاعي الكلام للشاب فتحفز الشاب وأخذ يشير بحركات

فاضحة وخادشة للحياء متوعداً حرب الذي واصل كلامه بكبرياء وشموخ:

_ كل شهر هديله تمن علبة وعلى سنتين أكون خلصت تمن القاروصة .. وكدا الكل يكون مرضي.. وقوله عيب اللي عمله معايا أنا ابن ناس برضه.

ما إن نقل رفاعي الكلام للشاب حتى رأيت في عينونه نظرةً قاتلةً وهو ينقض على حرب فاتكا به، لقد كانت تلك هي أكثر لحظات الشاب التي كان يتمنى أن ينطق فيها ليعبر عن مكنونه تجاه حرب، لكنه استبدل الكلام بأصوات صادرة من الفم والأنف، متبوعة بوابل رهيب من اللكمات والركلات، ولم يوقفها غير قيامي بدفع ثمن القاروصة.

في الطريق إلى المنزل توقفت مع حرب لشرب عصير قصب لعلّه يساعد على تخفيف حدّة أنفاس الشيشة التي أتحفنا بها رفاعي ولعله يخفف من تورّم وجه حرب وجراحه سألتني حرب بقلق:

_ إيه حكاية الليبرالية دي .. واشمعني هيّ بالذات اللي طلبتها؟

هزّزت كتفي وأنا أرتشف آخر قطرات من الكوب

_ مش عارف يا حرب .. أهو اللي جه على لساني.

_ أنا خايف تكون دماغها وحشة ولا حاجة!!

قالها حرب بسداجةٍ واضحةٍ فرددت عليه بثقةٍ شديدة:

_ إنت عبيط .. مسمعتش رفاعي بيقولك الطلب عليهم كثير.. يعني

حاجة جامدة.. وبعدين أنا مستعجل مفيش وقت للتفكير.

يقول أهل الحكمة " إن حصلت على زوجة جيدة فستصبح سعيدا
وإن حصلت على زوجة رديئة فستصبح فيلسوفا ""

_ مش هنخسر حاجه يا حرب، شوفت أهل الحكمة بيقولوا إيه!!



في اليوم التالي وفي الساعة الثالثة عصراً كنت أتسوَّق من السوبر
ماركت وأنا أدفع تلك العربة الحديدية أمامي .. لا أدري لماذا جال في
خاطري أنني في غضون عام من الآن قد أكون أدفع عربة مثلها يستقر
فيها طفل هو نتاج تلك الزيجة التي أنا مقبل عليها، وبدلاً من تجوُّلي في
قسم اللحوم سأكون واقفاً في قسم الحفاضات ومستلزمات الأطفال.

كم هي مرعبة تلك اللحظة نفضت تلك الهواجس عن رأسي على
صوت رنة الموبايل بينما اسم رفاعي يرتسم على الشاشة.. تعوَّذت بالله
من الشيطان الرجيم وفتحت الهاتف.

_ أيوه يا رفاعي .. خير.

_ لقيتلك العروسة.

_ بالسرعة دي!!

قلتها بتخوِّف ملحوظ، فردّ الملعون بثقة واضحة:

_ إنت مش قلت مستعجل .. وبعدين لا تقلق إنت مع رفاعي.

في المساء كنا في قهوة بلبل ورفاعي يغزّد شارحاً لي ملابسات الموضوع.

_ ميعادك بكره الساعة ٩ في بيت العروسة .. بس طبعا متجيبش سيرتي.

_ ليه؟ .. الله يخرب بيتك ... إوعى تكون رجعت تسرق تاني ومقلّب منهم حاجة.

نطقُها بخوف واضح .. فمصائب رفاعي لا تنتهي.

_ لا يا عم متخفش .. الناس الليبراليين دول مبيأمنوش بموضوع جوازات الصالونات .. فلو سألوك شوفت العروسة فين .. إبقى قول في النادي في السيمما .. كده يعني .. أنا قلت لهم إنك معجب وعازب تتقدم للعروسة.

_ ماشي يا عم رفاعي فيه حاجة تانية؟

قلتها بنفاد صبر وأنا أتململ، فحرّك رفاعي شفّتيه كأنه يتجهز لقول شيء ما ثم فتح فمه أخيراً:

_ إبقى حاول تغير من لبسك وشكلك .. تسريحة الشعر والهدوم.

_ نعم يا روح أمك .. على آخر الزمن حشّاش زكّ هيعدّل على هدومي!!

قلّتها بغضب شديد فقام رفاعي بتهدّئي وهو يتفحّص وجوه من في القهوة بقلق بعد تلك الكلمات.

_ مش قصدي والله يا أستاذ أحمد .. وبعدين بلاش حشّاش دي ..
ياريت تقول ناشط سياسي ...

نظرتُ إليه بغيظ واضح بينما حاول حرب تلطيف الجو:

_ رفاعي ميقصدش الكلام ده .. وضّح كلامك يا رفاعي.

_ كل ما في الأمر إن لبس الأستاذ أحمد كلاسيكي .. والجماعة
الليبراليين بيحبّوا شغل الكاجوال وكده ... يعني تيشيرت على
بنطلون جينز على شوية جيل في الشعر .. كده يعني.

_ طب ما تقول كده من الأول .. بدل ما بتجيب لنفسك التهزيق.

قلتها بغيظ شديد وبحدة بالغة .. فتكوّر رفاعي على نفسه وهو يصرخ
في صبي القهوة:

_ الشيشة بتاعتي يا زفت.

في اليوم التالي وفي التاسعة مساءً كنت أنتظر المأفون رفاعي أمام
تلك العمارة الفخمة في مدينة نصر.. ثوانٍ قليلة وظهر رفاعي مقبلاً
ناحيتي بسرعة وما إن تفحصني حتى هتّف بصوت عالٍ:

_ عليّ الطلاق.. ليبرالي .. ليبرالي.

نظرت إليه في ثقة وأنا أشير إلى تسريحة شعري ونصف كيلو الجبل
الذي يعلوه:

_ وشوف الشعر كمان .. إيه رأيك؟

ابتسم رفاعي في فرح واضح وهو يلف حولي متأملاً التسريحة:

_ هيعمل شغل ابن كلب.

_ أهم حاجة نخلص .. والعروسة تطلع حلوة.

قلتها في قلق ورفاعي يخبرني بالدور الذي تقطن فيه العروسة

_ هتطلع على الدور التاسع شقة ٢٧ .. ومتنساش تخلص وتطمني ..

قالها وهو يهم بالانصراف فأمسكت به في قوة:

_ نعم يا ناصح .. هتسيبني أطلع لوحدي!

نظر إليّ بثقةٍ شديدة:

_ هو إنت صغير ... وبعدين قلنا دوول ليبراليين .. إطلع يلاً عشان

متأخرش.

يقول أهل الحكمة: قبل أن تخطو خطواتك الأولى نحو المجهول،

عليك أن تعرف أن ثمة شيء رهيب يكمن هناك، وأنّ مجرد وضع

خطوتك هناك لا سبيل للتراجع..

ابتلعت ريقى بصعوبة وجففت عرقى الذي بدأ يتصبب مني وكأننا في

عزّ الصيف .. دقائق قليلة وكنت أقف أمام شقة ٢٧ وأضع إصبعي على

جرس الباب.

ثوانٍ قليلةٍ وسمعت أُكْرَة الباب تنفتح .. ليستقبلني رجل في الخمسينيات من عمره يرتدي ملابس كاجوال للغاية وعلى وجهه ابتسامة كبيرة.. لكن أكثر ما شدني كانت تلك التسريحة التي تشبه تسريحتي .. مع وضع نفس كمية الجيل.

مع كلمات الترحيب والمجاملة وفي خلال دقيقة كنت جالسا أمام الرجل في تلك الصالة الفخمة وصوت ضحكاتنا يتعالى وبالقرب منا يجلس شاب صغير في حوالي الثمانية عشر من عمره وهو مشغول بمتابعة ميلودي أغاني .. وهو منسجم تماما.

_ أهلا وسهلا .. نُورَت.

قالها الرجل بحفاوة بالغة فرددت بسرور واضح

_ أهلا بيك يا عمي.. وربنا يجعل وشك السمح ده فيه القبول .. أنا أول ما شُفت السبايكي بتاعك .. وقلبي ارتاحلك خالص .. ده زي السبايكي بتاعي بالضبط.

ضحك الرجل بصوت عال وهو يلتفت إلى الولد:

_ جُوو... تعالى .. سلّم على عريس سمر.

تحرك الولد نحوي ببطء شديد وعيناه معلقتان بالتلفاز حتى اقترب مني فمدّ طرف يده ناحيتي وهو يقول بميوعة:

_ أهلا بحضرتك.

خرج من الولد صوت لم أستطع أن أتبين من خلاله هل هو ذكر أم أنثى

فضحكت بصوت عال:

_ جُو إيه ده بسموه ميمي أحسن.

خرجت الكلمات مَيَّ بعفوية شديدة فنظر إليَّ صفوت بحدة شديدة

_ بتقول إيه حضرتك!!

_ لا .. أنا بقول شبه الواد ميمي ابن خالتي ...

قلتها بسرعة تلطيفا للجو فانفجرت أسارير الرجل وعُدنا لمتابعة كلامنا، كان الحديث مملاً للغاية حتى أنني شعرت أنني في حضرة عمرو حمزوي .. فالكلام الذي أسمعُه الآن يمكن أن تقرأه من أي الجانبين ومع ذلك لن تفهم شيئاً مما يقال.

_ إحنا بنمر بأزمة مجتمعية حقيقية في العقلية المصرية وصراعها الشرس ما بين العقلية المتأخرة الرجعية وبين العقلية الحضارية التي تنادي بحرية الفرد وبكونه صاحب كينونة ذاتية شخصية منسجمة مع شخصيته ووحدته، لذلك لأبد من إيجاد أرضية وأيديولوجية مشتركة يتعانق فيها الرأي والرأي الآخر وتتيح لكل الأفراد الحريات والحقوق.

صراحة أعجبني موضوع تتعانق ده !!

فجأة أخرجني الواد جُو الله يصلح حاله وحال أمه من ذلك الجو
الكثيب برنة موبايل تجعل الجبل يتراقص على واحدة ونصف ... ورد
الولد بصوته المايح:

_ هاي لولو ... عاملة إيه؟

نظر إليه صفوت وهو يغمز بصياغة:

_ سلملي عليها.

_ وأنا والنبي يا جو سلملي عليها كمان.

خرجت الكلمات بعفوية شديدة فنظر إليّ الرجل مستغربا .. فشعرت
بالارتباك .. فابتسمت ببلاهة وأنا أشير بيدي علينا جميعا.

_ قصدي يسلملنا عليها .. كلنا يعني ..

لم أتم كلامي فجأة وبدون سابق إنذار، ضرب كشاف نور في عيني
فأغلقتهما سريعا من شدة ضوءه، وما إن فتحتهما ثانية حتى فوجئت أن
أفروديت آلهة الإغريق قد هلت علينا .. فتوقفت الكلمات في حلقي
وانحبت أنفاسي وانتصبت واقفا كالتمثال .. كانت تتمسّى ببطء شديد
وهي تتمايل تلك الميلات البسيطة التي تظهر جمالها الرائع وهي تقترب
مّي، بينما شعرها يتطاير خلفها كشلال ماء، وابتسامتها الساحرة تجعل
عينك الاثنتان تتقاتلان أين توجه الرؤية .. كل شيء بها يصلح أن يكون

امرأة بذاتها، كيف تجرؤ على الظهور أمامي بتلك الملابس الفاتنة ألا
تعرف آتي رجل!!!

هل هناك من يعزف كَمَان بجواري أم أني سقطت في متاهة الحب
ودوامته .. هل تلك العصافير التي تُزقزق وتحلق فوق رأسي حقيقية أم
أنها بفعل خمرة الجمال تلك .. هل

يا أيتها الفاتنة .. جزاك الله مغفرة .. ردي عليّ صوابي مثلما كان..

أخرجني صفوت من تلك المتاهات فوراً وهو يشير إلى الصاروخ أرض
جو .. عفواً أقصد الفتاة.

_ سمر .. العروسة.

_ أهلاً بحضرتك .. نورت بيتنا.

تخيّل يا مؤمن إن صوت جُو الولد مايع وبه لمحة أنوثة .. فكيف
بطاغية الجمال تلك .. كان الصوت أشبه بكمنجة تعزف بحنان ورقة ..
حتى أنّي فكرت في تلك اللحظة أن أسجّل صوتها على الموبايل وأجعله رنّي
الخاصة التي أستيقظ عليها كل يوم، سيكون أجمل صباح ..

_ زغرودة يا ام توتو.

_ توتو مين !!!!

نطقها الرجل وسمر في آنٍ واحدٍ وبدهشة.

فأردفتُ قائلاً بصوت مبحوح:

_ قصدي جو.

ضحك الرجل وعدت إلى مقعدي بينما جلست سمر بجانبني وأنا أشعر
بحرارةٍ شديدة تجتاح جسدي.. والعرق يتصبب مني بغزارة.

الله ينصر دينك يا رفاعي ... عليّ النعمة لما أشوفك لأبوسك من بوقك
هو ده الشغل ولا بلاش ...

فجأةً دوى صوت أنثوي آخر في المكان ودخلت سيدة في حوالي
الخمسينيات من عمرها تشبه سمر تماما فقلت في نفسي:

_ طبعاً لازم دي .. تخلّف دي .. إيه العيلة الجامدة دي ..والله تنفع
أغنية.

دقائق قليلة تبادلنا فيها أطراف الحديث قبل أن تغادر مدام فادية
والدة سمر المكان وبعدها بثوانٍ هبّ صفوت واقفاً بابتسامة كبيرة:

_ أستأذن يا أحمد .. لأنّي مستني مكاملة مهمة جداً وأسيبك إنت
والعروسة على راحتكم.

فَغرت فاهي من الدهشة .. كيف تجرؤُ أيها الأحمق أن تتركني معها
بمفردي .. لقد كنت أحدث نفسي أن أحاول التحرش بها وأنت جالس فما
بالك لو غادرت وتركتنا.

قبل أن أفيق من أثر الصدمة الأولى أتبعها سمر بالتالية.

_ خد معاك..جو يا بابا.

نظر إليه صفوت مؤنبا وكأن الولد أضع علينا صلاة العشاء جماعة.

_ جُو كمثل فرجة جوه يا حبيبي سيب العرسان ياخذوا راحتهم.

_ الصلاة على النبي .. هي دي الليبرالية .. لازم الطلب يكون عليهم كثير.

أطلقتُ الكلمات من فمي بفرح شديد وأنا ألتقط يد سمر في يدي فلم تمنع.

_ طلب إيه اللي كثير وعلى مين!!

سألتني باستغراب فرددت عليها وأنا في حالة هيام:

_ كبري دماغك .. إنتِ حقيقي فعلا ولا أنا بحلم!؟

ضحكت بميوعة تفوق سابقها مما جعلت درجة حرارة جسدي ترتفع وكأنني أشبه بقدر تزداد ناره كل ثانية .. ووقوده النابالم وليس الحطب.

_ لا حقيقي .. إنتِ اللي مالك مش على بعضك ليه؟

رمت الكلمة الأخيرة وهي تعني كل حرف فيها .. كانت تدرك كم هي طاغية كم هي فاتنة .. ولم ترحمني أبدا..

حاولتُ الهروب قليلا وتغيير دقة الحديث فطرحتُ سؤالاً اكتشفت غباءه فيما بعد.

_ هو بابا مش هيتكلم معايا في تفاصيل الجواز ولا إيه؟

نظرت إليّ والذهول يعتريها:

_ أحمد !!!..

الله .. بتنطق أحمد حلو أووي ...

_ نعم .. عيون أحمد.

_ أحمد .. إنت بتتكلم بجدّ ولا بتهمز.. بابا مش هيتكلم معاك في حاجة

خالص.

تساءلت في سرّي

_ أه .. يبقى الكلمة كلمة الست الوالدة .. الراجل برضه شكله طري

ومش مسيطر.

_ يبقى ماما .. مش كده؟

قلتها بسذاجة وغباء شديدين .. فردّت سمر بسرعة:

_ لا طبعا .. مفيش حد هيتكلم معاك خالص.. ده مشروع حياتنا .. أنا

وإنت بس اللي هنقرر.. وقرارنا غير قابل للنقاش .. إحنا اللي هنعيش

حياتنا مش بابا وماما .. لازم نعدّي مرحلة السلطة الأبوية .. وإن

القرار بيكون قرار الأسرة ... لازم تعرف يا أحمد إن حرية المجتمع

بتبدأ من حرية الفرد..

كنت أتأمل سمر وأنا في حالة سُكْر شديد .. ولم أفق سوى على
كلماتها الأخيرة.

_ أنا لازم شريك حياتي يكون ليبرالي .. معايا ولا لأ يا أحمد؟

التقطتُ يدها بسرعة وقبّلتها وأنا أهتف بلهفةٍ وحرارة:

_ عايزك تعتبريني عمرو حمزواي من دلوقتي .. أنا معاكي ..

وانهّلت تقبيلًا على يدها.

سحبّت يدها مني بدلع وهي تقول:

_ أنا عندي اقتراح كويس.

بدون أن أفكر:

_ موافق على أيّ حاجة.

_ إحنا عايزين نأجل فترة الخطوبة شويه لحد ما نفهم بعض أكثر.

شعرت بالنار تخفت قليلا بداخلي .. وتساءلت بوجه حزين:

_ ليه .. احنا عايزين نخُج ونتفسّح مع بعض..

قلّبت كفيها باستغراب واضح:

_ احنا هنخرج ونتفسح وكل حاجة ... ولما نفهم بعض نعمل خطوبة

رسمية.

في تلك اللحظة ارتسمت في مخيلتي صورةً كبيرةً وعظيمةً للأستاذ
رفاعي .

(أيوه الأستاذ) وقررت في نفسي عدم توجيه أي إهانة له أو سبه.
وسأدعوه من الآن بالناشط السياسي .. تكريماً له على إتحافى بتلك
العروس.

عدت إلى بيتي لا أدري كيف، ولا كيف استلقيت على فراشي، كل ما
أذكره الآن هو سمر بوجهها الفاتن الأخذ بالألباب، وجمالها القاتل، حتى
أحلامي تلك الليلة كانت ملكا خاصا لسمر.

استيقظت من النوم على صوت الهاتف، فتناولته من جانبي على
مهل كان المتصل هو حرب.

تخيل يا مؤمن تنام على صوت سمر وتصحو على صوت حرب .. أي
لعنة أصابت ذلك الصباح.

بصوت متناقل مختلطا بأثار النوم العميق:

_ أيوه يا هباب .. في إيه على الصبح؟

رد حرب ببجاجةٍ يحسد عليها:

_ صُبح إيه يا معدوم الإحساس .. الساعة ١ بعد الظهر.

_ يا نهار أبيض .. راحت عليّ نومة ولا إيه!!

_ عايز أقابلك النهارده عشان تحكي لي عملت إيه امبارح؟

_ لا .. النهارده مش هينفع يا حرب .. أنا خارج على العشا أنا وسمر

_ سمر مين؟

_ سمر خطيبتي يا بني آدم.

_ يا بن اللعيبه .. تخطب امبارح وتخرج على العشا النهارده، ماشية معاك حلاوة.

_ الله يخرب بيت النبر بتاعك .. هي ناقصة ..

الجنرال حرب في النبر والقر لا يُشَق له غبار ولا تحدوه حدود، أذكر ذات مرة أنه نظر إلى هاتفي الجديد نظرةً من إياهم أتبعها بجملة من إياهم من عينة "كل ست شهور بتغير التليفون" بعد ساعة اضطرت لتغيير الهاتف تماما بعدما تحطمت شاشته.

_ ربنا يحفظنا من قرئك يا بعيد ..

في المساء كان اللقاء رومانسيا وشاعريا فوق الوصف في تلك الباخرة النيلية الهادئة وعلى ضوء تلك الشموع التي أخذ ضوءها يتراقص فوق سطح الماء عاكسا تلك اللمعة الجميلة على وجه سمر، لتنعكس اللمعة عليّ كالخمر فتزيد من سكرتي ولوعتي.

_ بحبك ... بعشقتك .. بموت فيكي، عارفة يا سمر أنا حاسس إني
قلبت فريد الأطرش أو سوما العاشق ..بس مش مهم .. المهم إنك
جنبي ومعايا.

قلتها بهيام شديد وبصوت متهدج.

فنظرت إليّ سمر بدهشة وهي تبتسم ابتسامة فاتنة ذات مغزى واضح
_ ياه .. بالسرعة دي لحقت تحبتي .. إحنا لسه عارفين بعض امبارح
بس!!

_ ولو لسه عارفين بعض حالا .. لازم تتجبي .. أنا حاسس إني بحبك
من سنين.

قلت الكلمات بلهفة وأنا أتناول يد سمر وأضمها إلى يدي .. فابتسمت
ابتسامة ساحرة وهي ترمقني بنظرات قادرة على أن تذيب جبال الجليد
دفعة واحدة، فقلت بهيام بالغ:

_ الليبرالية دي طلعت حاجة عظيمة جدا.

كأن كلماتي تلك لأمست وترا حساسا عند سمر فاندفعت بحماس

شديد

_ طبعا .. الليبرالية دي أعظم اكتشاف في الوجود، من غيرها حياتنا تبقى تزمت ورجعية، عارف يا أحمد .. الحرية أجمل شيء في الدنيا إنك تعيش حرّ في تصرفاتك وأفكارك وطريقة حياتك ومفيش رقيب عليك غير ضميرك .. المجتمع عمره ما هينض إلا بالليبرالية والحرية .. الناس لازم تتمسك بيها وتدافع عنها..

_ أنا من دلوقتي تقدري تعتبريني حامل لواء الدفاع عن الليبرالية .. وأحد أركان الليبرالية في مصر.

انفجرت أسارير سمر بشدةٍ وهي تقوم من مكانها لتطبع تلك القبلة الخفيفة على خدي فشعرت بحرارة شديدة تجتاح جسدي حتى أنني شممت رائحة شياطين شعر رأسي من شدة الحرارة، لكن الحرج الذي أصابني من نظرات الناس التي صوّبت إلينا من كل مكان أطفأ تلك النيران المشتعلة بداخلي.

وكأنّ سمر شعرت بحرجي فأردفت في حماس وهي تتجاهل نظرات الناس:

_ هي دي الليبرالية .. إعمل اللي إنت عايزه وبتحبه وسيبك من الناس...

فجأةً تسمّرت نظرات سمروهي تحرق في شيء ما خلفي بغضبٍ بالغ.
فاستدرت بسرعة لأستطلع الأمر فوجدت فتاة مُنتقبة تهم بالجلوس
بصحبة شاب يبدو كخطيئها.

_ إيه القرف ده !!

_ مالك يا سمرفي إيه يا حبيبتى؟

_ إنت مش شايف الخيمة والضلمة اللي هبطت علينا.

_ ومالها بس، الست لابسة نقاب ومحترمة وده حقها!!

_ حقها إيه وكلام فارغ إيه، ده تخلف.

_ أستغفر الله العظيم، بلاش الكلام ده، وبعدين إنتِ لسه بتتكلمي

عن الحرية وإن كل شخص حر في لبسه وتصرفاته.

ظهر الضيق على وجه سمرف:

_ أيوه قلت كدا .. بس تبقى حرية متحضرة مش شغل تخلف

ورجعية.

_ يعني إيه حرية متحضرة .. وإيه الرجعية في النقاب .. دي حرية

شخصية .. إنتِ لابسة على الموضة بحريتك وهي لابسة على

حريتها!!!..

ردّت سمر في غضب

_ لما تبقى حريتها مقززة ومعارضة للتحضّر متبقاش حرية، يبقى تخلف.

وجدتُ أن المناقشة ستقودنا إلى حارة مسدودة لا مجال للتراجع خلالها، فأنهيتُ الموضوع بسرعة حتى لا تغضب مَيّ سمر.

"أنا لا أقدر على غضب أفروديت"

أمسكتُ بيد سمر في رقّة وبصوت سوما العاشق:

_ سيبك منها وخلينا في قعدتنا الرومانسية، الثواني الحلوة دي مش هتتعوض ومش عايزين نضيّعها لأي سبب.

عدت إلى البيت متأخرا بعد أن قمت بإيصال سمر إلى منزلها بعد سهرتنا الصاخبة التي انتهت في إحدى السينمات.

دخلتُ إلى البيت وأنا في قمة النشوة والفرح، منتظرا الغد حتى ألتقي مجددا بسمر، لكن عيني وقعت على المأفون حرب وهو جالس متمسرا في الصالة أمام شاشة التلفاز.

توجهت نحوه ببطء وأنا أسأله بفضول:

_ بتتفرّج على إيه يا وحل البرك؟

_ ده برنامج توك شو .. جاييين واحد ليبرالي ويقول كلام غريب!!

جلست بجواره والابتسامة تعلقو وجهي، وبلهجة العالم ببواطن الأمور:

_ رگز معاه واستفيد منه .. الليبرالية دي هتبقى سبب نهضة البلد.

نظر إليّ حرب بذهول شديد وهو فاغر فاه:

_ نهضة إيه ونيلة إيه .. الراجل بيطالب بالحرية الجنسية بين الناس.

_ يا نهار أبوه إسود ... إيه الكلام الفارغ ده.

أصابتي كلمات حرب بالذهول الشديد، قبل أن يرمقني الخبيث
بنظرة ذات مغزى وهو يقول ببطء:

_ إنتَ مش خطيبتك ليبرالية ومن عيلة ليبرالية!!

غلى الدم في عروقي وكدت أخبطه بكوب الماء في وجهه لكنّي تماكنت
نفسي.

_ ليبرالية سمر غير الكلام الفاضي ده .. سمر بتنادي بحرية الفكر
والمجتمع، مش شغل القذارة بتاع الراجل الغبي اللي بيتكلم ده،
ليبرالية سمر فكرية لكن الزفت ده ليبرالته سفلية.

نظر إليّ حرب وهو غير مصدق فتجاهلت نظراته وانسحبت بهدوء
نحو غرفة نومي.

_ لا يا عم سمر مش كدا ..



كانت الساعة حوالي الواحدة صباحا، تلملمت في جلستي وأنا أنظر إلى صفوت والد سمر الذي انهمك هو وزوجته وجو في مشاهدة إحدى المسرحيات، بينما القلق والتوتر يكادا يفتكان بي.

_ الساعة واحدة ولسه مجتث يا عمي .. أنا قلقان جدا عليها.

قلتها بعصبية شديدة فلم يسمعي صفوت لشدة انتباهه مع المسرحية فأعدت التكلم بصوت عال وبنبرة لها بعض الحدة.

فالتفت إليّ برود يُحسد عليه:

_ زمانها جايه يا أحمد متقلقش.

_ مقلقش إزاي يا عمي ... الساعة واحدة بالليل .. وسمر لسه برا

ومبتردش على الموبايل .. يبقى إزاي مقلقش!!

بدون أن يرفع عينيه عن شاشة التلفاز وبصوت يدل على لا مبالاة

رهيبة

_ يا حبيبي عادي .. متكبرش الأمور .. مش أول مرة تتأخر.

_ أحيه يا أبو سمر إنت مآلك كدا مطزي الأمور خالص!!

قلتها في سري وأخذت أفرك يدي والغضب يعتريني بشدة.. وفجأة
سمعت صوت الباب يُفتح وصوت خطوات هادئة تأتي نحونا .. كانت
سمر وهي في كامل زينتها وأناقتها.

استشطتُ غضبا وقمت ناحيتها محتدا في كلامي:

_ إيه اللي أخرك لحد دلوقتي؟

نظرت إليّ بدهشة وهي تستغرب غضبي

_ إنت هنا من إمتي؟

_ من الساعة ١٠ .. قلت أعملك مفاجأة وأعدّي عليكي ورنيت على
تليفونك مردتيش.

ضحكت بميوعة:

_ كنت في حفلة ومسمعتش الموبايل.

نظرتُ إليها في ذهول:

_ للساعة ١ بالليل!!!!

ردّت بلا مبالاة شديدة:

_ دا إحنا خلصنا بدري ..عشان تأمر عمل تتش مع مودي .. وبوظ
علينا الليلة.

_ تامر مين ومودي مين .. مينفعش تتأخري بره كدا .. وإحنا مش عارفين عنك حاجة.

قلتها بلهجة غاضبة، فالتفت إليّ صفوت ببرود:

_ هدوا صوتكم يا ولاد .. عايزين نتابع المسرحية.

قبل أن تخرج من فهي كلمة بذئثة تابعت سمر حوارها معي:

_ أنا حرة .. أتأخري ما أنا عايزة.

_ لا .. مش حرة .. أنا لازم أعرف كل حاجة .. رايحه فين .. وجايه منين.

ضمت حاجبها بغضبٍ شديدٍ وتكلمت بحدة بالغة:

_ آه ... شغل التزمت بتاع زمان .. بص يا أحمد .. أنا حرة في كل

تصرفاتي.. أدام مبعملش حاجة غلط .. ولا بسيء لك يبقى أنا حرة..

وإنت لازم تتعود على كدا .. وتثق فيا..

كانت نبرتها تحمل تهديدا ما .. فحاولت تلطيف الجو قليلا:

_ أنا واثق فيكي... بس كنت عايز أظمن .. الوقت متأخر.

هدأت ولانت واقتربت مني بميوعة وأمسكت بيدي .. فلننتُ أنا الآخر في

يدها وهدأت "لا أحد يقدر على مقاومة ذلك الجمال الفتاك ولو كان قد

خلق من صخر."

_ إطمئن متخفش، وبعدين تعالى معايا أوضة النوم بتاعتي جايبه طقم
عايزه أوريه لك.

_ أوضة إيه!!!

_ النوم.

_ يعني إيه .. أنا حاسس إني في مسلسل تركي ولا هولندي الحاجات
دي عندهم عادي، لكن إحنا مش كقار يا جدعان، إيه العيلة
الطرية دي.

لم أفهم شيئاً مما يحدث وسمر تشدني وراءها من ياقة القميص
وعيني مصوبة نحو العائلة المصونة والتي يبدو أنها من كوكب آخر ..

_ رايحه بيا على فين يا سمر!!

كانت تلك آخر كلمة نطقها تلك الليلة.



سهرة الخميس تعودت أن أقضيها منذ سنوات على مقهى بلبل
بصحبة حرب.. في تلك الليلة كنتُ منتشياً وبشدة ومع أنفاس الشيشة
الحارة نفتتُ معها كل مشاعري، بينما صوت الست يصدح:

يا حبيبي، الليل وسماه، ونجومه وقمره، قمره وسهره

وإنت وأنا يا حبيبي أنا، يا حياتي أنا، كلنا في الحب سوا

والهوى آه منه الهوى، سهران الهوى

يسقينا الهنا ويقول بالهنا يا حبيبي.

_ الجواز ده شكله هيبقى حاجة حلوة يا حرب ..

قلتها بهيام بالغ رد المأفون بحسد ظاهر:

_ ماشية معاك حلاوة.. فُسح وخروجات .. وشغل عالي.

_ الله يخرب بيت قرّك ...الواحد ميحكيش لك حاجة تاني.

_ طب خلي رفاعي يشوفلي حتّة ليبرالية زي اللي معاك كده، من كتر

كلامك شوّقنتي للجواز والليبرالية.

وضعتُ ساق على ساق وأنا أتصنّع الخبرة والنضوج.

_ إنت غشيم يا حرب، متعرفش تتعامل مع النوع ده .. النوع ده

محتاج معاملة خاصة، وإنت دبلوم صنایع لا مؤاخذة يعني.

_ يا سلام .. إزاي يعني.

تقمّصت دور أحد كبار منظرّي الليبرالية:

_ إنت تعرف إنك عشان تكون ليبرالي لازم يكون عندك سعة عقلية
تخليك تستوعب كل الأفكار والمعتقدات الموجودة وتحترمها بغض
النظر عن موافقتك لهم فيما يعتقدون أم لا .. المهم إنك تحترم أي
رأي وأي كلام يتقال.

ألقيتها في وجه حرب فهزّش المأفون في رأسه بغباوة

_ مش فاهم حاجة .. بسّطها شوية.

_ شوف .. أديك طلعت مش فاهم .. يبقى إنت مش ليبرالي .. إنت
غشيم، وجاهل.

يقول أهل الحكمة "السبب في انتشار الجهل أن من يملكونه
متحمسون جدا لنشره!!" وحرب أحد قادة الجهل ودعاته في العالم.



في اليوم التالي كان لقائي مع سمر في أحد النوادي .. كانت ترغب في
تقديمي لباقي شلتها الليبرالية ولم أمانع، كنت سعيدا جدا لأنني سأتعرف
على ذلك الوسط المتحضّر الراقي "الطّري"، دخلت النادي بخطى وئيدة
وأنا أتأمل المكان من حولي فلست من رواد النوادي أنا من رواد المقاهي..
بعد دقائق لمحت سمر تجلس بصحبة ثلاث فتيات فتوجهت ناحيتها
بسرعة لأصاب بالدهشة الرهيبة .. كانت بصحبة ثلاث ليبراليات لا تقل

إحداهن جمالا عن سمر.. اقتربت منهن وأنا أمد يدي بالمصافحة وسمر
تهتف بحرارة:

_ أحمد خطيبي.

صرخت إحداهن بانفعال:

_ واو .. من غير ما تقولي يا وحشة !!

_ الخطوبة الرسمية لسه شوية ... وساعتها كلكم معزومين.

اقتربت مَيِّ الصاروخ ... أقصد الفتاة ومدت يدها تصافحني.

اللي أعرفه عن السلام مع واحدة ست أنه يكون باليد أما السلام اللي
حصل فكان عبارة عن سلام باليد وبعده على طول بعض القبلات
الخفيفة على الخدين..

" زيّ سلام الرجالة بالظبط .. حاجة آخر حلوة"

_ أيوه ... سامعك ياللي بتشتمني وإن بتقرا.. لو مش عاجبك
متكلمش عشان لسه فيه بلاوي...

انتظرت أن ترفع سمر يدها وتلطش البنات وتلطشني أنا كمان جوز
أقلام، عشان نفوق، لكن الموضوع كان عادي جدا .. ليبرالية بقى.

نظرتُ إلى سمر بارتباك وأنا متلئثم في الكلام:

_ والله هيّ اللي..

نظرت إليّ سمر بدهشة:

_ مالك مبلّم كدا .. سلم على الشلة.

_ أموت أنا في الليبرالية.

المهم لم أضيّع الفرصة وهات يابوس ..فرصة بقى هو احنا كل يوم
هنلاقي ليبراليين .. ماسورة بوس واتفتحت.

انهارت شلة السوء في حالة ضحك هستيري وأنا أبوس هنا وهناك،
كانوا في شدة الاستغراب مني وغير مستوعبين كيف أنّي لم أمارس رياضة
البوس من قبل.

"صراحة ضاع عمري قبل ما أعرف الليبرالية.. دي طلعت حاجة
حلوة أوي".

كانت قعدة لذيذة كلها هزار وضحك وفرفشة، لحد ما وصلت
العكننة، عيّل سيس نايتي من إياهم ..دخل علينا.. وبتقالية دمّ أمه.. هاي
لولو.. هاي توتو.. هاي سوسو.. لحد ما وصل لسمر وراح مسلّم عليها.
وفجأة لقيت الواد السيس بيوطي على سمر يبوسها...

_ بتعمل إيه يا ابن الجزمة!!

قلّتها بغضبٍ وأنا أهب من مكاني ممسكا بتلابيب الشاب السيس
واللكمات لا تكف عن ضرب وجهه وأنا أتقمص دور محمد علي كلاي.
تعالى الصراخ من حولي وتجمع الناس بسرعة وقد ساح الولد في دمه
تماما.. حتى تدخّل بعض رواد النادي وأخرجوه أشلاء من تحت يدي.
كانت سمر في حالة انهيار وهي تبكي، اقتربت منها فانفجرت في وجهي
قائلة:

_ إنت عملت إيه يا مجنون دا رامي صاحبي ..

شعر رأسي وقف وبعدين أغى عليه.

انفجرت فيها بغضب شديد:

_ ويوسك ليه كان من بقية أهلك؟

نظرت إليّ في دهشة وكأني أخطأت في البخاري:

_ ما إنت كنت لسه بتبوس صحباتي!!

_ أحيه هو الموضوع كدا، أنا أبوس وإنت تتباسي.

_ وفيها إيه!! دي حرّية شخصية!!

_ أنا قلت إنكم عيلة طرية من الأول.

تداخلت الأفكار والمعطيات في رأسي حتى كادت تنفجر

الله يخرب بيت الليبرالية وسينها ..

لم أتمالك أعصابي وصرختُ بصوت عال:

_ لا ياختي أنا مش ليبرالي.. وبكره الليبرالية والليبراليين.

ومخبّيش عليكم رفعت إيدي ولطّشتها قلم زيّ بتاع المخبرين فسقطت

أرضاً وهي تنتحب.

هو الموضوع كده.. أنا أبوس وإنّ تباسي.. الله يخرب بيتك على بيت

أبوكي على بيت جُو على بيت رفاعي الكلب اللي كان هيلبّسني في الحيط.

يا شماتة حرب فيا.



الفصل الثاني

السَّفِيَّة

"على رأي واحد سلفي الخطوبة أصلاً حرام"

كنت في حالة غضب عارم وحرب يحاول تهدئتي، بينما جلس رفاعي منكمشاً على نفسه وهو يطلب شيشة لنفسه وكوب ليمون لي لتهدأ أعصابي.

_ أنا كنت هبقي كيس جوافة يا حرب الواد بأسها أدامي.

_ الحمد لله إن إحنا عرفنا الموضوع بدري قبل ما الفاس تيجي في الراس .. قال إيه وأنا كمان كنت عايز واحدة ليبرالية يا ساتر .. إيه النجاسة دي .. كويس إني طلعت غشيم.

ألقي حرب الكلمة الأخيرة بمغزى واضح فنظرتُ إلى رفاعي بغيظ بالغ:

_ ابن الكلب ده كان هيلبّسنا في الحيط.

_ لأ، ليه الغلط ده بقى يا أستاذ أحمد إنت اللي طلبت ليبرالية.

_ وإنت مش تفهمني إنها نيلة كدا.

حاول حرب تهدئة الأمور:

_ يا إخوانا حصل خير.

رد رفاعي بزعل:

_ دا شتمني يا حرب، كله إلا الشتيمة.

ردّ عليه حرب باستهجان بالغ:

_ يعني أول مرة يشتمك .. طول عمره بهزقك يا رفاعي!!

هرّش رفاعي في رأسه وهو يخفض صوته:

_ مقلناش حاجة يا حرب .. ده كان زمان .. أنا دلوقتي ناشط سياسي ..
وليّ وضعي.

نظرت إليه بغيظ بالغ وهممت بالبطش به وارتكاب جناية معه، لكنه
استوقفني قائلاً بلهجة الخبير:

_ حل الموضوع عندي ... إنت مش ليبرالي يا أستاذ أحمد.

_ أمال إيه؟

نفث دخان الشيشة في الهواء ثم اعتدل في جلسته وهو يهمس بجوار
أذني بثقةٍ عاليةٍ:

_ إنت عندك ميول سَلَفِيّة.

_ يا ساتر يا رب ودي حاجة وحشة ولا مُعديّة يا رفاعي؟

قالها حرب بقلق بالغ، فشعرت بالبرد يضرب بطني بقوة، بينما رفاعي
يجيب وكأنه باحث في الشئون السلفية:

_ سلفي .. يعني محدش يكون شاف البننت قبلك، ولاحد يشوفها بعدك
ولا تتكلم مع رجالة غيرك ولا حتى تعرف راجل غيرك .. ولبسها

محتشم ومؤدبة وتعرف ربنا، ومفيش استغفر الله العظيم موضوع
البوس ده خالص .. يعنى دي اللي إنت محتاجها.

أعجبني الكلام وراقني تماما.

_ أبوس إيدك اديني حتّة سلفية يا أبو الرفاع.

_ من عنيا .. وانت يا حرب أجيبلك واحدة وأعملك خصم.

ردّ عليه حرب بقلق:

_ لا يا عم أنا هروح البلد لأمي تشوفلي عروسة من هناك .. أنا غشيم

صمتَ رفاعي قليلا وهو ينظر إليّ بقلق مشوب بخوف

_ بس فيه شوية حاجات لازم تتغير فيك يا أستاذ أحمد.

_ حاجات إيه .. قول يا مصيبة قول.

_ الشّعْر ده مينفعش كده خالص، عشان السبايكي حرام.

تحسّست شعري بتعجب

_ أغَيّر التسريحة ولا حتى أحلقه.

_ تمام ، وبلاش البرفان ده.

_ نعم يا أخويا .. وماله البرفان.

ردّ رفاعي بثقة عالية:

_ عشان البرفان أبو بَخَاخَة فيه كحول، والكحول حرام، مشايخ
السلفيين قالوا كدا، وأبو العروسة مينزلش كلمة لهم الأرض أبدا.

أصابني الذهول ونظرت إلى رفاعي غير مصدق ما يقول.

_ أَمال أحط برفان إيه.

رد رفاعي بثقةٍ بالغة:

_ وإنت مروّح هتلاقي راجل قاعد قدام الجامع بيبيع سَبَّحَ وَأَزَايز رِيحَة
خد منه إزارة دي مضمونة.

_ سهلة، أعدّي عليه.

_ وفيه حاجة كمان

أصابني الضيق من كثرة طلبات وتعليمات رفاعي فزفرت في حدة

_ إيه تاني؟

_ أوعى تَسَقِّطَ البنطلون، عشان تَسْقِيطَ البنطلون حرام.

_ نعم ياخويا.

ردّ رفاعي في جدّية ملحوظة:

_ إسمع كلمتي واكتب باقي التعليمات ، القعدة مع السلفيين لازم تكون
بما لا يخالف شرع الله.



مرتديا الجلباب الأبيض والسروال القصير وفي مواعي المحدد وقفت أمام عمارة سكنية في أحد أحياء القاهرة، وأنا أتحدّس ظهري بألم بالغ، محاولا الاتصال بالمأفون رفاعي، وأخيرا أجاب على الهاتف.

_ أيوه يا رفاعي الكلب، صلّيت في المسجد اللي إنت قلت عليه، الراجل صلّى بينا العشا في ساعتين، أنا وسطي انكسر.

_ نسيت أقولك إنهم بيطولوا معلش.. دقيقتين وابقى عندك نفّذت باقي التعليمات؟

_ أنا لبست زي ما إنت قلت وخطّيت مسك سعودي بس المشكلة في دقي رشّيت عليها كيماويات كثير إنها تطول مطولنش هيّ مهمة أوي يا رفاعي.

_ هي مهمة بس متخافش هتصرف.

صراحة مبخفش من رفاعي غير لما يشغل دماغه، رينا يستر.

دقائق قليلة وكان رفاعي يدق جرس الشقة بينما وقفتُ أنا معدّلا من جلبابي راسما آيات التقوى والخشوع على وجهي.

فُتح الباب وظهر على أعتابه رجل طويل عريض، يرتدي جلبابا يصل إلى ركبته وتحتة سروال، وتصل لحيته إلى منتصف جسده وهو متجهّم الوجه، وينظر إليّ بغضب أو بقرق، مش فاكّر بالظبط ولا عايز افتكر،

أصابني الرعب وهممت بالجري بسرعة والهرب من ذلك المكان لولا أن
أمسك رفاعي بي بقوة وهو يقول في ثقة:

_ إثبت .. متخفش.

وقفتُ والرعب يتملكني بينما تقمّص رفاعي دور الشيخ بتاع الجامع
عندنا:

_ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كيف حالك يا شيخ قاسم.

جذب الرجل رفاعي بعنف شديد بعيدا عني وسمعتة يسأله في غضب

_ دا حليق يا رفاعي .. إنت بتستهبل!!!!

"ما أنا قلت أجري.. ابن البلغة رفاعي قالي اثبت"

رفاعي قالي بعد كده إن حليق معناها من غير دقن.

رد رفاعي بسرعة كأنه مجهّز الرد:

_ أصل الشيخ أحمد (أنا) كان عنده كشف في الجيش وإنت عارف

اللحية هناك ممنوعة، طب عليّ الطلاق دي أول مرة يحلقها في

حياته.

على فكرة رفاعي يجوز له إنّه يحلف بالطلاق لأنه مدمن طلاق،

وتقريبا مراته اللي معاه دلوقتي مش مراته، من كتر ما جِلف بالطلاق، بس

هما عايشين مع بعض رخامة..

هدأت ملامح الشيخ قاسم وانفرجت أساريره وأفسح لنا الطريق
للدخول وهو يقول:

_ أهلا وسهلا يا شيخ أحمد والله شرفتنا، لا تؤاخذني كنت أريد أن
أطمئن فقط.

ضحكت ببلاهة كأن الأمر لا يشغلني .. وظهر الخشوع على وجهي وأنا
أنظر إلى الشيخ قاسم في سكينه وهدوء.. لما نشوف آخرتها إيه
استأذن الرجل وغاب قليلا:

فسحبت رفاعي من ذراعه بقوة وبخوف قلتُ له:

_ إيه اللبش ده يا بن الجزمة، قوم بينا نجري من هنا.

_ إهدا متخفش، كَلّه في السليم.

ثوانٍ قليلةٍ وعاد الشيخ قاسم حاملا صينية عليها أطباق الأرز باللبن
.. معرفش إيه حب السلفيين في الرز باللبن ..

أخذ الشيخ قاسم يسألني عن بعض الأشياء .. وفي تلك اللحظة
شعرت بحنين إلى الرجل العظيم أبو سمر.

كانت أسئلة الشيخ قاسم تدور حول: بتقرأ مين من المشايخ؟ بتسمع
مين من المشايخ؟ بتصلّي ورا مين من المشايخ؟
_ مَبَصَّلِيش.

قلّتها في عفوية شديدة .. ففتح الشيخ قاسم فمه وهو يصرخ في ذهول
ليتطير الرز بلبن على وّسّي (الله يقرفه البعيد).

_ مِبتصِّلِش (قالها وهو يصرخ).

_ أنا مبصِّلِش ورا حد .. الناس هيّ اللي بتصِّلِي ورايا .. عشان أنا
الإمام.

وجدت تلك الكلمات على لساني فرزعتهم في وشه عشان يسكت.

توقف الطعام في فم رفاعي وهو يكاد يختنق، تمالك نفسه وهو يهتف
بقوّة:

_ عليا الطلاق بيحصل، الشيخ أحمد إمام كبير أوي.

تهلّل وجه الشيخ قاسم وظهر عليه السرور:

_ طمّنتني الحمد لله .. متأخذنيش يا شيخ أحمد أنا فهمت غلط.

_ ولا يهملك يا شيخ قاسم .. بس هات منديل أمسح وّسّي اللي اختفى
من تفافك ورزّك (جتك قرف).

فينك يا جو (مش عارف افتكرته في التوقيت ده ليه)

رفاعي الطّفس لهّف الطبق بتاعه، وسابني وخلع، طبعا مش هينفع
يقعد والعروسة موجودة.

بعد قليل سمعت طرقا خفيفا على الباب الداخلي فقال الشيخ
قاسم:

_ تعالي يا أم جندل.

مين جندل ده الله يخرب بيتك يا رفاعي.

فجأة النور قطع والجو بقى ضلمة.. لسه هقول مين اللي قطع النور
لقيت في وشي ثلاث منتقبات دخلوا الصالة مرة واحدة قلبي اتقبض
بشدة.

_ يابن الجزمة يا رفاعي ده أنا شكلي اتدبّست.

كنت هقوم أجري على الباب وأخلع ، لكن الشيخ قاسم أشار إلى
الفتاة في المنتصف وقال:

_ العروسة هند وأمها وأختها.

_ عروسة مين، دول كلهم شبه بعض، ابن الكلب رفاعي ده راح فين.

نظرت العروسة (هند) إلى الأرض في خجل، مش عارف مكسوفة من
إيه، مفيش حاجة ظاهرة منها .. فينك يا سمر ما كانش فيه حاجة
متغطّية

جلسوا على الكراسي أمامنا وفجأة أشار الشيخ قاسم إلى هند:

_ ارفعي النقاب يا هند.

رفعت الفتاة النقاب ببطء عن وجهها، وضع الجميع نظرهم في
الأرض إلا أنا .. دي فرصة ولن تتكرر.. بصراحة البنت كانت قمر.

قلُّها في غيظ فحاول أن يلطّف الجو قائلا:

_ منوّر يا شيخ أحمد ..

_ منوّر إيه بقى ما إنت خليت النور يقطع تاني .. الله يغمّك يا بعيد.

قلُّها في سرّي ينما دارت بذهني فكرة عجيبة غريبة "لو كان أبو سمر هو أبو هند كان الموضوع يبقى تمام لكن النصيب".

أشار الشيخ قاسم إلى هند مجددا، فوجّهت نظري إليها أتفرج من جديد لكن يا حسارة، كانت الإشارة هذه المرة بالكلام فقط.

انطلّقت الفتاة في الكلام عن نفسها ، كان حديثها حول مشايخها المفضّلين والدروس التي تُحب سماعها _ دروس دينية طبعاً _ ، والمساجد التي تلتقى بها دروس، وكلام عن الشيخ فلان والشيخ علان .. وعمّنا الشيخ قاسم بقّه مفضوخ من الابتسامة وهند تتابع كلامها:

_ أنا بحب سماع الخطب الدينية، وأتابع كل القنوات الدينية ، كما أقوم بإلقاء دروس وعظية في كثير من المساجد وأستمع إلى مشايخنا العظام، وأحرص على حضور كل جلساتهم الوعظية، كما أني أقوم حاليا بإعداد بحث عن الدلالة والاستدلال ودور المستدل في الكشف عن دلالاته.

قاطعتها بسرعة:

_ ولقوا دلال ولا ليهته..

قلّتها في بلاهةٍ شديدةٍ فنظرتُ هند إليّ باستغراب

_ دلال مين؟

_ مش مشكلة.

انتهت هند من حديثها الذي لم أفهم منه شيء.. عدا أنها ممكن ترّبي
دقتها في يوم من الأيام.

ابتسم قاسم قائلاً:

_ بارك الله فيك يا ابنتي، اتكلّم إنت بقى يا شيخ أحمد وعرف نفسك
للعروسة.

_ أحيه!!

قلّتها بتلقائيةٍ شديدةٍ فانتفض الشيخ قاسم من مكانه كما لو لسعه
عقرب وهو يصرخ:

_ بتقول إيه؟

تداركتُ نفسي بسرعة:

_ إحنا هنتكلم في إيه؟

زفر قاسم في ارتياح:

_ عن حياتك واهتماماتك يا شيخ أحمد، لا مؤاخذه تهيأ لي إني
سمعت كلمة تانية.

_ عيب عليك يا مولانا وأنا يطلع برضه مَيّ الكلام ده.

تمالكْتُ نفسي قليلا وتنقّست بعمق وبدأت في الكلام:

_ أنا بحب الدروس الدينية، وأحضّر بحث حول القَوْل البتة في عمل الفتة، وبحب الشيخ جلال الدين أيبك، والشيخ عبد السميع حسان.

بدّت الدهشة على وجوههم وقاسم يهرُش في رأسه

_ عمرنا ما سمعنا عن شيوخ بالأسماء دي!!!

_ عارف الشيوخ بتوع اليومين دول يا شيخ قاسم؟

_ طبعا، عُلمائنا، ومشايخنا.

_ دول تلامذة الشيوخ بتوعي.

قلتها فانفجرت أسارير الشيخ قاسم وهتف بصوت عال:

_ الله أكبر .. بتاخذ العلم من بحوره يا شيخ أحمد.

ثوان قليلة وقامت أم هند وأختها مغادرين الصالون بينما جلس الشيخ قاسم مبتعدا عنا تاركا فرصةَ الحديث بحرية لكن أذنه وعينه مصوّبتان نحونا، انتهزت الفرصة وجهّزت قصبدةً لبشارة الخوري ولسه هنزل بها، فاجأتني الفتاة بسؤال غريب:

_ كُنيتك إيه

بدا الغباء جليًا على وجهي وهي تسألني.

"نعم يا أختي .. معناها إيه الكلمة دي"

بلعتُ ريقِي وسألْتُها بقلق:

_ يعني إيه الكنية دي؟

بدت الدهشة والاستغراب على وجه هند لجهلي بمعنى الكلمة

يعني هيّ سألت عن أبو تريكة وأنا مجاوبتُش!!

_ بجد مش عارف معناها!!!!

_ والله ما اعرف!!

_ هقولك ... الكنية يعني كل إنسان بيكون له اسم ثاني بيتوصف بيه

ويبدأ بكلمة أبو.

قاطعُها في لهفة:

_ أستغفر الله العظيم زي أبو جهل وأبو لهب كده، إحنا خدنا الكنية

دي في تالته إعدادي..

_ أيوه .. هي دي.

نظرتُ إليها بقلق واضح وبتردّد سألتُها:

_ وإنّ عندك البتاعة دي؟

_ إنتَ محتاج تَاهيل يا شيخ أحمد، عشان كده بكرة لازم تحضر
مؤتمر الحزب العام، والشيخ أبو الغضبان هيفهمك الحرام من
الحلال، عندك مُعتقدات كتير فاسدة، ولا بد من إصلاحها.

ايه التدبيسة السوداء دي .. نظرتُ إليه بتردد وسألته بحذر:

_ أهم حاجة الأخت هند تيجي معنا.

_ يوجد مكان للنساء لا تقلق..



_ أهم حاجة عند البنات يا أحمد إنها تسمع كلام حلو ورومانسي،
بالذات البنات اللي زي هند، عمرهم ما كلموا شباب خالص، عشان
كده الكلام بيباثر معاهم جامد أووي.

كان رفاعي يلقي بتلك الكلمات على مسامعي وأنا أتجهّز للخروج ذاهبا
إلى مؤتمر حزب الشيخ قاسم:

_ إنت متأكد من الكلام ده يا رفاعي .. مش ناقصين غلطات تاني.

_ ده كلام علي، وموثوق منه كمان، وله مفعول السحر.

قاطعهُ المأفون حرب بغاوة وهو يوجّه الكلام لي:

_ بقولك إيه جرّب تبوسها.

_ أبوس مین یا فاجر یا فاسق یا غشیم.. إنت متتکلمش خالص وکمل
تلمیع فی الجزمة ..

انهمک الحرب فی تلمیع الجزمة بينما أكملتُ حدیثی مع رفاعی:

_ النهارده الفلانین وبفکر أعمالها مفاجأة.

_ کویس جدا .. هتبقى حركة جامدة.

نظرتُ إلى الجنرال حرب وطلبتُ منه التاهب:

_ حرب .. عندک مهمة.

أمام مقر الحزب کان الشیخ قاسم فی استقبالی ومعه لفیف من رجال
الحزب.

_ تفضّل یا شیخ أحمد .. أعرفک بالإخوة.

قالها الشیخ قاسم ونحن نتوجه داخل قاعة المؤتمر وهو یشیر إلى
الوفد المرافق له:

_ الشیخ حنظلة أمين الحزب .. وده الشیخ أبوسُفیان المسلم مسئول
الإعلام.

_ یا ترى الشیخ أبوسُفیان المسلم یحب یقول إیه لأبوسُفیان الکافر.

قلّتها بتلقائيةٍ شديدةٍ وأنا أضحك .. منتظرا تقبّلهم دُعابتي .. لكن
التجهم على وجوههم ونظرات أبوسفيان المريبة أكدت لي أنني ارتكبت
جناية.

_ إفضل يا شيخ أحمد المؤتمر هيبداً

قالها الشيخ قاسم وهو يدفعني داخل القاعة بغِلظةٍ فاستدرتُ
ناحيته بلهفة

_ أمال هند فين؟

_ الله يهديك يا شيخ أحمد .. هند مع الأخوات في قاعة منفصلة،
ادخل المؤتمر هيبداً .. عايزين نلحق كلمة الشيخ أبو الغضبان.

كانت القاعة مكتظةً للغاية والعيون مصوّبة نحو المنصة التي يجلس
عليها أربعة من الوحوش يتوسطهم الشيخ أبو الغضب الذي كان يصرخ
بصوت عال:

_ إنهم يريدون إشاعة الرذيلة والفاحشة، إنهم يريدون هدم القيم
والمبادئ ... إنهم .. إنهم ..

كان بجواري رجل يبدو على ملامحه التأثير العميق بكلام أبو الغضب
فمِلت عليه قائلاً:

_ الشيخ أبو الغضب سخنان على مين كدا؟

نظر إليّ بدهشة وهو يهز رأسه بتعجب:

_ وهو في غيرهم يا أخ .. الليبراليين الفسقة الفجرة الدعة.

وقعت كلمة الليبراليين على مسامعي كالصاعقة ودارت مشاهد سمر أمامي كشريط سينمائي ولم أشعر بنفسي إلا وأنا واقف أصرخ في القاعة محاولاً التكلم بالفصحى.

_ إنهم يدعون إلى البوس والأحضان، بين أيّ شخص وفي أي مكان، ويريدون منا أن نفعل زي كلاب السكك، حاشا وماشا وكلا، سوف نقف لهم، ونبوّظ مخططاتهم الماسونية.

عمّت الضجّة المكان والشيخ أبو الغضب يطُلب من الجميع الصمت ووجّه حديثه إليّ والبسمة تملأ وجهه.

_ الله يرَضَى عنك يا ابني .. متعرفناش عليك.

قبل أن أفتح فمي بأي كلمة هبّ الشيخ قاسم واقفاً بفخرٍ واضحٍ مشيراً إليّ:

_ الشيخ أحمد .. خطيب ابنتي هند.

زَعَق أبو الغضب في الميكروفون:

_ تكبيير..

امتلأت القاعة بالتكبيرات والصيحات وانتهالت الأحضان على الشيخ قاسم وعليّ، فيما سمعت صوت الزغاريد تصدح في القاعة العليا.

بعد انتهاء المؤتمر وقفتُ مع الشيخ قاسم وبعض المشايخ نتبادل أطراف الحديث، بينما تكلم الشيخ أبو الغضب بهجة وفرح:

_ ربنا يتمم بخير يا شيخ قاسم، أحسنتَ الاختيار وربنا يقوّ إيمانك يا شيخ أحمد، وإن شاء الله تبقى من كوادِر الحزب معنا..

كنت في حالة بهجة عالية، فرددت بصدق بالغ:

_ إن شاء الله أنا معاكم، خصوصاً إن العشا بتاعكم عجيبني، شوية فتة ولحمة إنما إيه، حاجة شغل فنادق، وإنْت كمان يا شيخ أبو الغضب راجل زيّ الفل.

وكزني قاسم بقوة في كتفي:

_ فضيلة الشيخ أبو الغضبان ..

_ أبو الغضب من الغضبان مش فارقة كثير، أهم حاجة نتصدي للبراليين، أنا اللي حصل معايا مش شوية.

رد أبو الغضب بثقة:

_ طبعا إن شاء الله، إحنا محتاجين كل الجهود، خاصة الشباب لكي نتصدي لهذه الفئة الضالة، المارقة.

_ كلامك حلو يا شيخ أبو الغضب، مع إني مش فاهمه بس حاسس بيه.

اندمجوا في الحديث مع بعضهم البعض وفجأة لمحت هند تقف بمفردها بعيدا عنا بعض الشيء، فانتهزت الفرصة وتوجهت نحوها بسرعة، فمن المستحيل أن أضيع فرصة أن أنفرد بها للحظات بدون رقابة الشيخ قاسم، أثناء خطواتي إليها جهزت كلمات الغزل ووضعتها على طرف لساني.

_ إزيك يا هند؟

نظرت إليّ بدون أن تُردّ وإن كنت قد لمحت في عينيها من خلف النقاب نظرات دهشة، لكن تلك العينان الساحرتان المتخفّيتان التي أُسدل عليهما ستاراً زادهما بهجة وجمالاً جعلاني أقف كالمسحور.

اللعنة عليك يا سمر، أيّ تخلف في ذلك، إنه جمال فتاك، مكنون ومحروس لصاحبه.

أكملت كلامي برومانسية ومُحن:

_ مش عارف أنا من ساعة ما شفّتك امبارح، صراحة إنتِ طلعتي جامدة أوي، وحلوة أوي ..

أخذت هند تبريش بعينيها وجسدها يهتز بعنف أمامي فأيقنت أن كلامي قد أصابها في مقتل فأردفت بسرعة:

_ من الآخر طلعتي صاروخ، ومش أي صاروخ، صاروخ سلفي أرض جو.

فجأةً تخشبت الفتاة تماما وعيناها مصوبتان نحوي فهمستُ
برومانسية

_ تعالي نقف برًا في الهواء، أحسن من الخنقة هنا..

لم ترد هند وواصلت نظراتها الملتاعة.

_ إنتِ مكسوفة ولا إيه؟

مددت يدي وجذبتها من ذراعها برقة كي تتحرك معي، لكن فجأةً صدر
منها صوت ضعيف أشبه بالصراخ ..

"الكسوف وسنينه"

_ متكسفيلش بقى.

واصلت الفتاة أنيها وهي متخشبة تماما، وفجأةً دوى صوت أنثوي
حاد من خلفي:

_ شيخ أحمد إنت بتعمل إيه؟

التفت لأجد هند واقفة خلفي تُحملك في دهشة وريبة، فوق قلبي بين
قدمي وبصوت مرتعش سألتها:

_ أمال مين دي أنا فكرتها إنتِ؟

_ لا دي الأخت فيحاء.

نظرتُ إلى الفتاة والخجل يكاد يقتلني

_ أنا آسف .. فكرتك.

قبل أن أنهي كلامي أطلقت الفتاة صرخة عالية وسقطت مغمية عليها.
صرخت هند وجرت نحو فيحاء تحاول إفاقتها، بينما أطلقت ساقى
للريح.

وقفت مع الشيخ قاسم أمام باب الحزب والشيخ أبو الغضب يودّعنا
بينما لمحت بطرف عيني سيارة إسعاف يضعون بداخلها الأخت فيحاء.
فجأة ظهر حرب وهو يجري نحوي بسرعة حاملا بوكيه الورد وهو
يناوله لي.

"لقد وصل المأفون"

_ معلىش إتأخرت عليك يا سيد الناس، البوكيه بتاع الفلانتين أهوه
زيّ ما قلت.

صرخ الشيخ قاسم بغضب

_ الفلانتين حرام.

رفعتُ يدي وناولتُ حرب على وجهه ما تيسر لي من صفعات وأنا
أتقمّص دور الشيخ أبو الغضب

_ يا فاسق ... يا فاجر...يا مارق .. يا عدوّ الله.

سقط حرب أرضاً فغمزت له بعيني أن يوئى هارباً وقد كان، نظرت
للشيخ قاسم بتردد:

_ كنت عايز منك طلب كده يا شيخ قاسم.

رد في اهتمام واضح:

_ إنت تؤمر يا شيخ أحمد .. إنت رفعت رأسي النهارده وسط الإخوة.

"ولسه يا شيخ قاسم لما تعرف موضوع فيحاء هيقطعوا رأسك"

ابتلعت ريقى واستجمعت أعصابي:

_ كنت عاوز أخرج أتعشى النهارده برا أنا وهند.

نظر إليّ في غضب ورفع حواجه عالياً حتى ظننتُ أنها ستطير من

وجهه

_ حواجبك مالها يا شيخ قاسم؟

_ هذا الكلام لا يجوز يا شيخ أحمد، إنه فسق وفجور.

_ فجور إيه يا شيخ قاسم، بقولك هنتعشى، هو أنا قلت هنروح

كباريه.

_ إتقى الله يا شيخ أحمد والعزومة عندي بكرة في البيت.

في المساء جلست مع رفاعي في قهوة بلبل، لمتابعة وتحليل الأحداث
بينما وضع حرب الكمادات على وجهه من أثر الصفعات وهو جالس
بجوار ي يتأوه.

مال عليّ رفاعي بخُبت واضح:

_ إيه الأخبار؟

رددت بحيرة:

_ هي البنت حلوة ومؤدبة، ولبسها محتشم، وعجبانني جدا حاسس إن
هي دي اللي بدور عليها، بس ساعات كده بتقول كلام غريب
مبفهمش منه حاجة خالص.

_ مش مهم تفهم، المهم إنها عاجباك.

_ البنت زي العسل، بس أبوها زي البصل، عامل زي اللقمة في الزور،
راشق في كل قعدة.

_ حاول تتسايس معاه، وظبّط أمورك

قالها حربٌ في بلاهة فرددت عليه بسخرية:

_ أسايس مين، ده ممكن ياكلني ..

يقول أهل الحكمة "إن الحياة ليست عادلة، فلتعود نفسك على
ذلك" ولتعتاد وجود هؤلاء من أمثال قاسم وأبو الغضب وحرب ورفاعي

وكل الأشكال الضالة، فبدون وجودهم ستكون تلك هي الجنة، والجنة لم
يحن وقتها بعد.



بعد تناول العشاء في منزل الشيخ قاسم دخلت هند حاملة صينية
الشاي ووضعتها أمامي.

نظرتُ إليها في لهفة:

_ إزيك يا هند، عامله إيه؟

جلست هند بدون أن ترد وهي تنظر للأرض في خجل، وحياء.

تدخل قاسم في الحديث:

_ أخبار فيحاء إيه يا هند؟

شعرت بدوار وبألم في معدتي قبل أن تجيب هند:

_ الدكتور يقول عندها صدمة عصبية وفاقدة النطق والسبب
مجهول..

ابتلعتُ ريقى بصعوبة وأنا أتحاشى نظرات هند التي وجهت كلماتها إليّ:

_ إنت كنت آخر واحد بالقرب منها يا أخ أحمد .. متعرفش إيه اللي
حصل؟

ابتلعت ريقى في صعوبة وأصدرت بطني صوتا غريبا من شدة الهلع:

_ أبدأ .. كل ما في الأمر، لقيتها بتعمل أصوات غريبة فرُوحَت أسألها
وحصل اللي حصل.

_ الشيخ أبو سُفيان والد فيحاء راصد مكافأة كبيرة لمن يعرف سبب
ما حدث لها.

قالها قاسم فوقعت الكلمات عليّ كالصاعقة وارتجف جسدي بعنف
_ هو الشيخ أبو سفيان أبو فيحاء؟

زفر الشيخ قاسم في حرارة

_ نعم هو والدها، عامة خير، أنا هشرب الشاي بعيد عنكم ، وأسيبك
إنت وهند تتعرفوا على بعض ده حقكم.

هدأتني الكلمات قليلا وأنستني أبو سفيان وبنته.

_ الله يعمر بيتك يا شيخ قاسم، شكلي هحبك.

قام من مكانه ببطء متوجها نحو كرسي بعيدا عنا بعض الشيء
وعيناه مصوبتان نحونا.

نظرتُ إلى هند برومانسية قاتلة قاتلا:

_ أخبارك إيه؟

_ الحمد لله ، على فكرة أنا مبسوطه من كلمتك في المؤتمر النهارده.

رددت في فخر:

_ دي حاجة بسيطة كدا.

هرّت رأسها وهي تبتمس بخجل يُضفي عليها جمالا وبهاءً لا يُضاهيان
_ لا فعلا كانت كلمة مؤثرة، ولخصت فيها أهداف تلك الفئة الضالة
المارقة.

_ مارقة إيه وكلام فارغ إيه، سيبك بقى من الحاجات دي، قوليلي
بتسمعي مين من المُطربين.

نظرت إليّ هند بدهشة مشوية بغضب لكنها سرعان ما ابتسمت.
حين تبتمس هند فإن القمر يتوارى خجلاً من ذلك الثغر الفتان،
يقولون إن الشفاه خلقت لتُخرج الكلمات، فلما خلقت شفاه هند، لا
أعتقد أنها فقط لتخرج لنا الكلمات.

ابتسمت ثوان قليلة ثم قالت بثقة:

_ الأغاني حرام، والموسيقى حرام.

_ نعم بتقولي إيه؟

_ والسينما حرام، والمسرح حرام، وكنتاكي حرام.

شعرت وكأن أحدهم سكب فوقى طناً من المياه المثلجة.

_ إنت متأكدة من الكلام ده؟

ضحكت هند برقة:

_ أنا عارفة إنك بتحاول تختبر قوة إيماني، لذلك لا داعي لتلك الأسئلة، فأنا أعرف بخُرمة تلك الأشياء.

حانت مَيّ التفافة نحو قاسم فوجدت وجهه على وشك التقطّع من فرط ابتسامته فخرا بما تقوله ابنته.

_ يختبر إيه؟

_ قوة إيماني.

هدأت قليلا وابتلعت ريقى بصعوبة وأنا أجفّ عرقى:

_ طب كنتاكي حرام ليه؟

أصاها سؤالي بالدهشة والاستغراب وردّت في تلقائية واضحة:

_ لأنه حاطط صور على علب الأكل، والصور حرام.

نظرت إلى قاسم بسرعة وأنا أقول:

_ ابقى خلي حسين يرد عليها.

نظر إليّ قاسم في جدية وعدم فهم.

_ مين حسين ده يا شيخ أحمد.

_ ده شيخ كبير أوووي، وهو متخصص رد في المواقف دي، الوحيد

اللي رده ينفع في الحالات دي.

_ ونعم المشايخ!!

قالها قاسم بينما التفتُ أنا إلى هند بقلق:

_ الكلام الى إنتِ بتقوليه ده نهائي؟

_ مش فاهمة؟

_ يعني مفيش أمل إنك تراجع نفسك؟

_ دي ثوابت ومبادئ عندي، ولا يمكن التراجع عنها بتاتا.

_ بتاتا، يبقى باظت الليلة.

_ بتقول إيه؟

_ بعد إذنكم أنا لازم أمشي حالا.

يابن الجزمة يا رفاي، أنا يتعمل فيا المقلب ده وديني لانفخك.



_ يقول أهل الحكمة ... قاطعني حرب قبل أن أتم الجملة

_ وجعت دماغنا بأهل الحكمة، كل شوية يقولوا .. يقولوا .. خلص

ياخويا قالوا إيه؟

نظرتُ إليه بغضب بالغ لكن تماكنت نفسي وعُدت مسرعا لتقمص

دور الحكيم بيدبا:

_ يقول أهل الحكمة: في المدرسة يعلمونك الدرس ثم يختبرونك، أما الحياة فتختبرك ثم تعلمك الدرس.
قلتها وانهلكت ضرباً على حرب.



في اليوم التالي على القهوة قام حرب بتخليص رفاعي من يدي بأعجوبة بعد أن صفعته حوالي ١٠ أقلام على قفاه، صارخاً في وجهه:

_ الله يخرب بيتك كنت هتلبّسني في الحيط.

ردّ رفاعي بانفعال وهو يتحسس قفاه بتوجّع:

_ إنت اللي قلت عايز واحدة متدينة.

_ أيوه قلت متدينة ... مش متطرفة وبننت مجانيين.

أمسك رفاعي بهاتفه وهو يطلب قاسم.

_ متخافش أنا هلغي كل حاجة.

_ أيوه يا خويا إلغي .. أحسن ألغيك من الدنيا كلها.

فجأةً دوّى صوت رهيب من تليفون رفاعي والشيخ قاسم يصرخ

_ إنت يا عم رفاعي، الزنديق اللي اسمه أحمد مي جيش البيت تاني

واعتبر الموضوع ملغي.

ابتلع رفاعي ريقه بصعوبة وبصوت مبحوح:

_ كنت بكلمك عشان كدا.

رد قاسم بعنف:

_ وبتقولي مرّبي دقنه وبتنصّب عليا، ده عمره ما رباها وصفحته على
الفييس بوك كلها بنات.

شعرت بالحرّج والارتباك وكل من في القهوة ينظرون إليّ ورفاعي
يسألني بصوت خفيض:

_ عرف الفييس بوك بتاعك منين؟

_ أصل أنا كنت اديته لهند عشان تخش عليه ونتكلم وكدا.

_ أهي اديته لأبوها، حد يدي سلفية الفييس بتاعه.

عاد الشيخ قاسم إلى زعيقه وصراخه:

_ وكمان طلّع ليبرالي ويساري وشيوعي وشيعي أنا دخلت على صفحته
وعرفت كل حاجة.

فجأةً تغيّرت نبرة الشيخ قاسم وأخذ يولول كما النساء:

_ وبيعرف بنات وبيسمع أغاني وبيشوف أفلام، وبيقعد على قهاوي
الفاسق الفاجر عدوّ الله، الأخت فيحاء ربنا أنطقها وقالت على
الكلام الزبالة والتحرش اللي حصل لها.

ضحّت القهوة بالضحك وأحد الجالسين يقول بتريقة محدثا زميله:

_ التحرش بقى موضه اليومين دوول، الشباب ضايعة بابا.
أغلق رفاعي الهاتف بسرعة وهو يتحاشى النظر إليّ وبصوت مبجوح
صرخ قائلاً:

_ شيشة يا بلبل.

_ ورطتني يا رفاعي.

_ والله يا أستاذ أحمد ما كان قصدي، أنا فكرتهم بتوع ربنا.

رد حرب في سخط بالغ:

_ يا وقعة سوده، وأنا اللي كنت بفكر آخذ واحدة سلفية، كان أقاموا
عليّ الحد.

صمت رفاعي قليلا وهو يفكر في أمرٍ ما ثم لمعت عيناه فجأة:

_ هيّ .. مفيش غيرها ..

_ مين؟

_ إنت عايز واحدة محترمة وبتفهم، ومش تقليدية، وميعجبهاش الحال
المائل.

_ لايمني علمها يابن الفقرية.

_ إنت عايز واحدة شمال.

انهلت عليه صفعا ولكما وتعالى صُراخه وهو يهتف

_ مش اللي في دماغك .. قصدي يسارية.

_ يعني إيه البتاعة دي؟

_ يعني الاحترام كله والمبادئ الثابتة والثورة على القيم والتقاليد

البالية ودعم حركات التحرر العُمالي الكفاحي الوحدوي الشعوبي.

قال رفاعي الجملة الأخيرة من ورقة في جيبه ثم أعادها ثانية بسرعة،

فرددت عليه بضيق:

_ أنا مش فاهم حاجة من اللي بتقوله ده، بس نجرب.

_ عين العقل، التجربة خير دليل، والنهارده هكلم الأستاذ سُهدي وبكرا

تروح تشوف العروسة، بس خلي بالك دي نظامها مختلف خالص

عن اللي قبل كدا.

_ إزاي يا خويا قول، ما هي مصاييك مبتخلصش

_ اليسارية دي مثقفة وواعية ودماغها كبيرة، عشان كدا لازم تكون

زيمها وتجارها في الكلام.

_ فهمني أكثر.

_ لازم لما تسألك تجاوب.

_ وهتسألني في إيه إن شاء الله .. هو جواز ولا امتحان!!

_ هما الجماعة دول كدا .. لازم يكون فيه توافق فكري بينك وبينهم
قبل الجواز، وبعدين الأسئلة هتكون حاجات سهله من عينة الكفاح
الشعبي وحقوق القوى العاملة الكادحة وآخر مستجدات قانون
العمال.

_ مالي إيدك منهم يا رفاعي؟

_ عيب .. توكل على الله ..

فجأة تدخل حرب في الحديث:

_ إيه موضوع حقوق العمال ده يا رفاعي، أنا عندي مشكلة عويصة.

رد عليه رفاعي بلهفة:

_ مشكلة إيه؟ قول بسرعة.. عندي النهارده لقاء في التوك شو مع
الإبراشي وهعرض مشكلتك.

_ بص يا عم .. أنا معايا دبلوم تجارة واتعينت في الحكومة ببند
الخمس في المية بتاع المعوقين.

_ كويس جدا وبعدين.

_ المفروض إني أتعين مدرس أو أخصائي اجتماعي، قاموا معينني
فراش

كتمتُ ضحكاتي بينما سقط رفاعي في بحر من الضحك وهو يقول

_ وإنت بتشتغل الناس في القهوة وبتقولهم إنك مدرس، وإنت فزاش
وكزّه حرب في كتّفه بقوة:

_ وطيّ صوتك .. هتعرف تحل المشكلة وتكلم حد من المسئولين؟
رد رفاعي بثقة:

_ النهارده في البرنامج هطرح مشكلتك على الرأي العام وهطالب
باستجواب للوزير.

صدر مّي صوت غير ظريف وأنا أقول لرفاعي:

_ إنت مفكر نفسك عضو برلماني، إنت حشّاش ياله.

_ وضع رفاعي يده على فمي ليسكتني قائلاً:

_ وطيّ صوتك الله يكرمك .. بلاش فضايح .. أنا عايز أخدم حرب بس.

_ وهتدفع كام يا رفاعي؟

قالها حرب وهو يفرّك يديه فردّ رفاعي في دهشة:

_ أَدفع إيه، أنا هطالب بحقوقك!!

رد حرب بثقة بالغة:

_ ما إنت هتهيف من كل قناة مبلغ أد كدا .. وتعمل شغل على قفايا،
يبقى لازم ينوبني من الحب جانب.

_ هديك ١٠٠ ج.

_ أحيه يا رفاعي، مش هقبل أقل من ٥٠٠ ج.

_ اتفقنا، هتعمل مداخلة النهارده وعايذك تخبط في الحكومة جامد،
وتقول إنهم ضحكوا عليك ورفضوا تعيينك بدرجةك العلمية،
وعينوك فراش.

_ حلوة درجته العلمية دي يا رفاعي .. محسّسني إن حرب بيحضّر
دكتوراة.

قلتها وأنا أستمع إلى الحوار الدائر والضحك يكاد يقتلني.

"اتلم الأهل على العبيط"



الفصل الثالث

أهل الشمال

استقبلني الأستاذ شهدي وهو يرتدي بذلته الكاملة ويزين رأسه
بطاقيه الحرامية (طاقيه الجماعة المثقفين).

_ أهلا وسهلا .. شهدي أبو الشهيد الأمين العام لحزب العمال
الكادحين تحت التأسيس.

_ أحمد أمين .. الأمين العام لحزب العمال الجعانيين تحت التأسيس.
قلت الكلمات بعفوية شديدة فعلى حد قول المأفون رفاعي لابد من
مجازاتهم في الكلام.

فَعَر الرجل فاه من الدهشة وهو يرمقني بإعجاب بالغ:

_ هايل، مذهل، توافق فكري واتجاهية قومية شعوبية اتحادوية،
واحنائسه على الباب.

_ إن شاء الله يا عمي احتمال نكتب الكتاب واحنا بنشرب الشاي،
محسوبك يساري درجة أولى، وثورجي كبير.

ثوان قليلة وضممتنا جلسة داخل حجرة تتناثر بها الكتب في كل مكان
وما إن جلست على الكرسي حتى صرخ شهدي بهلع:

_ ماركس تحتك.

_ فِين يَا عَم الْكُرْسِي فَاضِي .. وَبَعْدِين مَارْكَس مِين؟

_ كَارْل مَارْكَس .. كُنْت هَتَقْعَد عَلَي كِتَابِه.

يَعْنِي هَقْعُدُ عَلَي الْمَصْحَفِ يَعْنِي.

_ لَا مُؤَاخَذَةَ يَا عَم شَهْدِي الْعَتَبْ عَلَي النَّظَرِ .. هَغْيَرِ النَّظَارَةَ قَرِيب.

_ قَوْلِي يَا رَفِيقُ أَحْمَد.

_ لَا اسْمِي أَحْمَدُ مَشْ رَفِيق.

_ رَفِيقُ دِهْ لَقَبُ مَشْ اسْمِ .. إِنَّتْ هَزَارْكَ جَمِيل.

تَلْعَثْمْتُ وَأَنَا أَبْتَلَعُ رِيقِي:

_ طَبْعًا بَهْرَزَّر .. اتْفَضَّلْ قَوْلُ يَا رَفِيقُ عَم شَهْدِي.

_ بِرَأْيِكَ مِينِ يَسْتَحِقُّ لِقَبِ مُفْجَرِ الثُّورَةِ الشِّيْعِيَّةِ وَحَامِلِ لَوَاءِهَا فِي

العَالَمِ بَعْدَ رَحِيلِ كَارْلِ مَارْكَسِ.

بَرْدِشْتْ بَعِينِي لِمُدَّةِ ثَوَانٍ حَتَّى اسْتَوْعِبْتَ مَا قَالَهُ وَأَخَذْتَ أَهْرُشْ فِي

رَأْسِي وَجَرْتِ فِي الْجَوَابِ وَالْعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنِّي بِغِزَارَةٍ، لَكِنْ فَجَاءَ دَوَى

صَوْتٌ كَهَيْزِيمِ الرَّعْدِ فِي الْحَجْرَةِ.

_ الشَّاي يَا شَهْدِي.

التفتت ناحية الصوت لأجد فتاة ترتدي بنطلون جينز وبلوزة وعلى

كتفها كوفيّة، وهي تنظر إليّ بصرامةٍ شديدةٍ، لكن رغم ذلك كانت جميلةً
المحيًا رائعة قسمات الوجه، مُرّة بس مسترجلة.

_ إليه الصوت ده وداني هتتخرم .. هيّ بتزعق ليه.

_ نسرين بنتي، العروسة، ومسئولة الهتاف في المظاهرات والاعتصامات
والإضرابات.

_ أتاري صوتها زيّ الميكروفون.

ابتسمت ومددت يدي مصافحا إياها متفخّصها بسرعة.

_ أهلا وسهلا أنسة نسرين.

_ أهلا يا رفيق أحمد ..

قالتها بحدّةٍ وهي تلتفتُ لشهدي.

_ سيبننا لوحدنا شوية يا شهدي.

انتفض الرجل من مكانه وهو يهب مغادرا المكان، بينما سألتها
مستفسرا:

_ مش الأستاذ شهدي يبقى والدك يا أنسة نسرين، ليه بتقوليله يا
شهدي، أنا حاسس كمان شوية هتقوليله يا ض يا شهدي.

_ أولا تقوئي رفيقة نسرين مش أنسة.. ثانيا في مجتمع البروليتاريا
الصامد والمكافح لا وجود للألقاب والمسّميات غير لقب رفيق.

نظرت إليّ نسرِين بدقّة وهي تتفحصني تماما من أخصص قديمي حتى
رأسي وبدا على وجهها الاشمئزاز:

_ إيه الحفظة والشياكة دي .. إنت رأسمالي متعقّن ولاّ بروليتاري
كادح.

_ أنا أحمد أمين .. وجاي أتجوّز غير كدا معرفش .. وبعدين لازم ألبس
واتحفظ .. حضرتك أنا جاي أخطب مش جاي أصلح مجاري.

نظرت إليّ بشكّ واضح بينما بدأ القلق يلعب برأسي وهي تقول:
_ الرفيق رفاعي قال إنك يساري.

ابتلعت ريتي بصعوبة وبسرعة أجبت:

_ أنا قمة اليسارية ولسه عيّي الرفيق شهدي سائلني وجاوبت.
اقتربت مني قليلا وهي تتشممني:

_ وإيه الريحة دي ..

_ ده برفان حضرتك، لسه جايب اللعبة بـ ٢٠٠ ج

_ يا نهارك إسود .. فيه عائلات كادحة بتعيش شهر كامل على أقل من
المبلغ ده.

قالتها بصراخ رهيب بينما انتفضتُ أنا هلعا.

_ فيه إيه؟

_ يعني مش شامة فيك ريحة غاز مسيل للدموع!!

_ غاز إيه ومسيل إيه !!!

_ إنت مش بتنزل مظاهرات وتشتبك مع الداخلية؟

_ يا وقعة سودة .. أنا مالي ومال السكة دي.

_ يعني إيه .. إنت مش ثورجي؟

_ ثورجي والله.

_ يبقى لازم نهدم عشان نبني.

_ صح .. لازم نهدم عشان نبني، بس نهدم إيه ونبني إيه؟

_ نهدم البلد وبعدين نبنيها.

_ يخرب بيت أبوكي .. إنتي بتقولي إيه؟

_ اللي سمعته يا رفيق وقوم استعد عشان عندنا طلعة حالا.

_ طلعة إيه؟

قلئها برعب هائل وركبي ترتعش من هول الكلام بينما أكملت هي:

_ مظاهرة أدام وزارة الداخلية.

_ أحيه!!

_ هو ده شعار مظاهرة النهارده .. إنت عرفتته منين؟

قالت الجملة الأخيرة بتشكك واضح وهي تقف متحفزة وهي تكمل
كلامها:

_ من أول ما شفتك مستريحتكش .. شكك لا يساري ولا غيره ..
وكلامك مش مضبوط .. ودلوقتي عارف شعار المظاهرة .. يبقى أكيد إنت
أمّنجي وجاي تندس بينا .. يا شهدي .. جاسوس يا شهدي ..

كاد صراخها أن يفقدني الوعي لكن تماكنت نفسي ودفعتُها أرضا
وأطلقت ساقى للريح ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أسفل العمارة ألتقط
أنفاسى بصعوبة.

كنتُ في شدّة الغضب فركلتُ بقدمى طوبهً متوسطة الحجم كانت
أمامى فهشمت زجاج سيارة فارهة تقف أمام العمارة، أخذت ألتقت حولى
بخوف بالغ خشية أن يكون قد شاهدنى أحدهم.

كانت السيارة من ذوات النصف مليون جنيه والتي ما إن يشاهدها
غالبية المصريين حتى يسارعوا إلى التقاط الصور بجانبها، هكذا يفعل
حرب.

فجأة ظهر بواب العمارة وهو يهرول ناحيتى بهلع وهو يصرخ:

_ يا خراب بيتك يا عتريس .. هو أنا ناقص بلاوى .. متعرفش مين اللي
خبطها يا أستاذ؟

ابتلعت ريقى مدّعيا البراءة:

_ مش عارف يا عم الحج .. هتلاقي عيّل من العيال بتوع الشوارع.

_ ده الأستاذ شهدي وبنته نسرين هيخربوا بيت أبويا.

قالها الرجل بؤلولة فنظرتُ إليه بدهشة:

_ شهدي ونسرين!! هما مالهم ومال العربية، آه .. أكيد هيهدلوك

عشان وقفت عربية واحد رأسمالي متعقنُ أدام العمارة.

نظر الرجل إليّ بعدم فهم وهو يقول:

_ سأسمالي .. ومستعفن إيه .. دي عربية الأنسة نسرين الجديدة.

_ أحيه !! عربية مين؟

_ الأنسة نسرين!

_ وبنه الكلب فضحتني عشان إزازه برفان ب ٢٠٠ ج ..

ناولت عتريس ٢٠ ج ليحضر لي علبة سجائر من نهاية الشارع، وما إن
اختفى من أمامي حتى سحبت شومته الخاصة التي تركها بجواري،
وهشمت السيارة تماما، متمنيا أن يكون بداخلها شهدي ونسرين ورفاعي.

_ وديني لانفخك يا رفاعي.

عدت إلى شقّتي والغضب يكاد يفتك بي، حاولت مرارا الاتصال على

المأفون رفاعي لكنه لم يجب.

_ طبعا، عنده برنامج دلوقتي، الناشط ابن الناشطة.

لم أتم الجملة إلا والطرق تتوالى على الباب، فتحت الباب فوجدت أمامي رفاعي وما إن هممت بالانفجار في وجهه حتى أزاحني جانبا ودلف للدخل بسرعة هاتفا بغضب:

_ هقتله، هقتله.

أمسكت بتلابيبه وأنا أصرخ.

_ أنا اللي هقتلك .. تبعّتي لعيلة مرؤوشة ولاسعة يا رفاعي.

_ مش وقته، أنا عايز حرب، أنا فقدت مصداقيّتي أدام الرأي العام، سُمعتي بقت في الأرض.

_ حرب .. هو معمّش المداخلة معاك ولا إيه؟

جلس رفاعي يولول ويبكي:

_ ياريتّه ما كان عمل وريّحني، ده خبّطني خازوق أرض جو.

وقعت على الأرض من شدّة الضحك ورفاعي يحكي لي ما حدث من حرب.

_ واحد من النشطاء المعادين ليا عرف بموضوع حرب، دفع لحرب ألف جنيهه وخلاه يغير كلامه ويشكر في الحكومة، شكلي كان وحش وحرب بيتكلم بعد ما قعدت ساعة كاملة قبل مداخلته أتكلم عنه وعن مأساته ومشكلته، يقوم هو عامل فيا الحركة الزبالة دي.

_ والله يا رفاعي انتوا الاتنين أزيل من بعض.

_ ماشي يا أستاذ أحمد، ما هو قريبك لازم تدافع عنه، المهم عملت إيه مع العروسة.

تذكّرت على الفور نسرين فعُدت لأنفجر في وجه رفاعي صارخا وشاتما، فردّ عليّ بيأس:

_ والحل معاك إيه بقى أنا جبتهلك كل التيارات اللي في البلد، أشوفلك حاجة شغل بزا؟

_ مش فاهم؟

_ حتة خواجاية من على النت.

_ إنت عارف باب الشقة منين؟

_ أيوه!!

أطلقتُ صراخا عاليا:

_ على الباب من سكات قبل ما ارتكب جناية، ولو شفت وشك في حتة تانية احتمال اقتلك يا رفاعي.



الفصل الرابع

دبلون التجارة

استيقظت من النوم على رنة هاتفي المحمول زي رنة جو الله يصلح
حاله وحال أمه، كان المتصل الزفت رفاعي.. الخاطبة الفاشل، كان نفسي
أقفل الموبايل في وشه وأكمل نوم، لكن على رأي محمود عبد العزيز
الإنسان دعييييييييف...

أول ما ردّيت على رفاعي انطلق في سيّل من الاعتذارات والتأسّفات
"جمع أسف" على ما حدث وأنه لم يكن يعرف أنهم عائلة مرووشة
..خاطبة بقي.. جبراً للخواطر قُلتله إن الموضوع عادي وأنا مش زعلان ولا
حاجة والموضوع عدّي وخلص.

لكن رفاعي أبو رأس ناشفة جلف برأس خاله اللي مات مرّقس من
أكل التين إنه لازم يصلّح الموضوع بعروسة جديدة.

أنا سمعت كلمة عروسة والعفريت اشتغل..

_ عرووووسة تاني لأ، الموضوع انتهى..

_ عليّ الطلاق المرة دي حلوة.. حتة عروسة إنما إيه آخر حلوة.

صمت قليلا ثم تابع كلامه:

_ دي حاجة تانية مختلفة عن ذي قبل، حتة خام، إنت تشكّلها زي ما
إنت عايز، تخلمها ليبرالية، تخلمها سلفية، تعملها كوكتيل اللي إنت عايزه...
صراحة الموضوع عجبي أوي، خصوصاً الكوكتيل، تصوّر واحدة
بحلاوة ودلع سمر وحشمة وخجل هند، وثقافة وجرأة نسرين، دي تبقى
قنبلة.

_ ماشي يا واد يا رفاعي.

_ خلاص النهارده بالليل تروح عند ولاء.

من باب الفضول سألته:

_ ولاء ده اسم العروسة ؟

_ أه، إنما إيه حتة بنت زي القمر.

سألته ثانيةً من باب الفضول:

_ معاها إيه؟

سكتت شوية وقال بصوت مبحوح:

_ دبلون تجارة.

_ إدخل نام يابن الهيلة.

_ اسمعني بس دي حاجة حلوة خالص.

وأنا رأسي وألف جزمة لأ.

_ اسمع واحكم بنفسك، دي بنت طيبة وغلبانة وتعليمها على قدها،
ومش عارفة حاجة في أي حاجة، ودماعها فاضية مفيش عندها أفكار ولا
أي أيديولوجيات وتقدر تشكلها زي ما إنت عايز.

بصراحة عجبتي، مش البننت، لأ.. أيديولوجيات بس أقطع دراعي لو
كان رفاعي يعرف معنى الكلمة لأنه حمار ، وبعدين نجرب ونشوف يعني
هنخسر إيه.

ذكرياتي مع الدبلوم غير مريحة على الإطلاق، ولمن لا يعرف فالدبلوم
في مصر لمن يفشل في الحصول على مجموع كبير في الشهادة الإعدادية
يؤفله للالتحاق بالثانوي، مما يجعله يلتحق بالدبلوم وهو يشمل عدة
أقسام منها الصناعي والزراعي والتجاري، والأخير هذا كان تخصص حرب
في دراسته، وفي السنة الأولى له في دبلوم التجارة وبسبب غيابه المتكرر تم
فصله من المدرسة، لكن حرب لم يقف عاجزاً بأئسا، في اليوم التالي ذهب
إلى مدير المدرسة وطرق الباب ودخل عليه والطيبة والحياء سيماهما على
وجه حرب.

زقق المدير في وجهه بحدة وغضب:

_ إنت مفصول يا حبيبي ولازم تعمل إعادة قيد وتجيب وليّ أمرك.

طأطأ حرب رأسه والبراءة تطل من عينيه والدموع تتساقط:

_ حضرتك أنا أبويا وأمي متوفيين.

_ يا حول الله يا رب، هات أيّ حد أخوك الكبير مثلاً.

قالها المدير بتأثر رهيب ولان في كلامه قليلا وحرب يقول:

_ حضرتك أخويا الكبير مريض ومعوّق.

_ يا ساتر يا رب، طب يا بّي آدام ظروفك منيلة كده .. بتغيب ليه

وتدخّل نفسك في مشاكل!!

تساقطت دموع التماسيح من عين حرب وأجهش بالبكاء:

_ غصّب عني، أنا شغال في مزرعة فراخ من الصبح لحد الظهر،

عشان أنا اللي بصرف على إخواني السبعة، وأجيب دوا أخويا المعوّق.

انفجر المدير باكيا وهو يحتضن حرب ونادى على الأخصائي

الاجتماعي:

_ أستاذ عبد الفتاح يعمل حالا بحث اجتماعي لحرب وتصرفله

مساعدة وتعفيه من كل مصاريف المدرسة، وأنا هلغي جواب الفصل

وأشيل الغياب بتاعه، لازم نساعدته ونقف جنبه.

وعلى الفور خبط المدير إيدَه في جيبه وكرمش ٥٠ جنيه وحطهم في إيد حرب.

_ ده كرم من حضرتك يا سيادة المدير أنا عاجز عن الشكر.

تواصل بكاء مدير المدرسة:

_ إنت بتقول إيه يا حرب، إنت إنسان مجتهد ومكافح ولازم نساعدك ونقف جنبك ..

وقد كان .. ومضت الأيام والأسابيع وحرب يتنعم في المدرسة في ظل المدير، فلا أحد يسأله عن حضوره وانصرافه، حتى جاء ذلك اليوم الذي لم يكن في حسابان حرب.

شقيقه الأكبر وولي أمره مرزوق أثناء عودته مبكرا من عمله في أحد الأيام حدّثته نفسه بالذهاب إلى المدرسة والاطمئنان على حرب وانتظامه في الدراسة.

طرق مرزوق باب المدير ودخل.

_ السلام عليكم.

_ وعليكم السلام، أوامر يا أستاذ.

_ أنا جاي أطمئن على حرب وأشوفه عامل إيه.

_ كويس الحمد لله، تلاقيه في الشغل دلوقتي.

_ شُغل إيه؟!!

قالها مرزوق باستغراب بينما سأله المدير بفضول:

_ إنت مين الأول؟

_ أنا أخوه الكبير مرزوق.

_ المعوّق، إنت خقيت ولا إيه؟!

قالها المدير وهو ينتفض من مكانه بلهفة، فرد عليه مرزوق بغضب:

_ معوق إيه يا راجل يا مجنون، إنت هتلفظ في الكلام.

_ أصل حرب كان بيقول ...

في تلك اللحظة أدرك المدير الخازوق الذي أعطاه له حرب، فعَلَّت دماؤه في عروقه، واحمرّت أذناه، وتصبّب منه العرق بغزارة.

حكى مدير المدرسة الحكاية كلها لمرزوق وهو يشعر بأن رأسه ستنفجر من هول المكيدة التي رسمها له الحرب وقبل أن يتكلم مرزوق دخل حرب الحجّرة.

_ معلش يا سيادة المدير اتأخرت شوية

قبل أن يكمل الحرب كلامه وقعت عيناه على أخيه مرزوق فأصدرت
بطئنه صوتا عاليا من شدة الرعب الذي اجتاحه، ودارت عيناه في
محجرهما، بينما هتف المدير في غيظ:

_ أهلا وسهلا .. أخوك المعوق جاي يطمئن عليك .. بقى أنا يتعمل فيا
الغازوق ده يا حرب.

قبل أن يرد حرب ارتفعت يد مرزوق كالمطرقة وهوت على وجه حرب
فارتدى على الأرض باكيا، ومرزوق يُزمجر:

_ قوم أدامي .. حسابنا في البيت لما نروح ..

هم حرب بالقيام من مكانه لكن فجأة ارتفعت صرخات المدير:

_ أخيه .. حساب إيه وبيت إيه .. عليّ الطلاق لازم تضربه أدامي لحد
ما اتكيف .. الواد ده خلاني أعيط .. وقعتدت يومين مش عارف أنام
بسبب ظروفه، فين الخمسين جنبه يا وله.

انتهيت من قصّ حكاية حرب وأنا جالس على المقهى فضجّ المكان
بالضحك بينما انزوى حرب في أحد الأركان وهو يرمقني بغضب بينما
تكلم رفاعي بلهفة:

_ يا مسهل .. تبقى المرة دي ونخلص .. زهقنا من كُتر الخطوبات.

_ وأنا أعمل إيه يعني يا رفاعي، هما اللي بيطلعوا زفت، اختياراتك
سودة.

ردّ بحزن بالغ:

_ القسمة والنصيب يا أستاذ أحمد، هنعمل إيه يعني!!

حين يحيط بك الفشل ويحتويك تماما وتعجز عن النجاح في أي
شيء، فقط عليك أن تُلقِي اللوم على القسمة والنصيب، حينها ستنفج
أسايرك ويرتاح بالك، صدقني أنت لست فاشلا، لكن القسمة تعاندك
والنصيب يجافيك.

_ إنت عارف مشكلة سمر وهند ونسرين السبب فيما إيه؟

قالها رفاعي بثقةٍ بالغَةٍ فأصغيتُ إليه متسائلا:

_ إيه يا أبو العرّيف؟

_ أول حاجة إنك كنت مجرد تابع لهم بتاخذ منهم وتسمع، محاولتش
تفهم أو تناقش أو تعبرّ حتى عن رأيك غير لما خدت الصدمة.

_ وتاني حاجة؟

_ تاني حاجة هي عدم الثقافة، اللي زي هند وسمر ونسرين محدودي
الثقافة والفهم، والجو المحيط بهم بيأثر عليهم بصورة رهيبية، وبيآمنوا

وبيصدقوا أي حاجة بتتقالهم بدون تفكير حتى لو مش مقتنعين بيها
وفاهمينها المهم عندهم إنها حاجة منتشرة حوالهم وناس كتير بتؤمن بيها.

_كلامك حلو يا رفاعي بس مش فاهم حاجة.. ياريت تبسّطها.

_ يعني ببساطة أهم حاجة في العروسة الجديدة ثقافتها وفكرها، لازم
تكون مثقفة وفاهمة وواعية ساعتها تأكد إن اختيارك هيكون صح.

_ إزاي تكون مثقفة وأنا نفسي مش مثقف يا رفاعي.

_ سيب دي عليا .. روح النهارده وشوفها ولما ترجع هكون جهزتلك
خلاصة كتب الثقافة والفكر.



دلّفتُ إلى تلك البناية في أحد الأحياء الشعبية، وقبل أن أضع قدمي
على السلم دوّت أصوات زغاريد أصابتني بالخضة الشديدة حتى كدت
أسقط أرضاً.

نظرت ناحية الصوت كانت سيدهً في الأربعين من عمرها واقفة على
السلم حاملة طفلة صغيرة على كتفها بينما لسان المرأة يواصل إرسال
قذائف الزغاريد المحرّمة دولياً.

ثوان قليلة وهرع سكان العمارة فاتحين أبواب شُققهم مستطلعين
سبب الزغاريد.

_ خير يا أم خالد بتزغردى ليه؟

_ عريس ولاء وصل.

نظرت إلى المرأة بتفحص بالغ من فوق لتحت.

_ آه ، صح لابس بدلة أهوه.

فجأة ظهر طفلان يرتديان فانلات بحمالات فقط بينما جزءهم
السفلي يستنشق الهواء العليل، توجّه الطفلان نحوي وهما يصرخان
بفرح:

_ هيه العريس جه.. هيه العريس جه.

أصابني الارتباك والذهول:

_ يا نهار إسود أنا جيت فين!!!

شد أحد الأطفال يدي:

_ عمو، إنت العريس؟

_ أيوه يا حبيبي.

_ طب هات جنيه.

نظرت إليه بذهول وارتباك

_ ياريتني كنت جبت حرب معايا كان سلك مع الأشكال دي.

استنقذتني المرأة صاحبة مدفع الزغاريد وهي تزعق في الولد:

_ إمشي يا واد منك له عيب، اتفضل يا أستاذ.. اتفضل.

دقائق قليلة وكنت في شقة العروسة جالسا مع العم صلاح والد العروس المصون، كان في الخمسينيات من عمره بشوش الوجه متبسط في تعامله يتكلم كلمة ثم يضحك بعدها مباشرة.

_ منور يا أستاذ أحمد.

_ ده نورك يا عم صلاح، دي المرة الخمسين تقولي منور ده غير الزفة البلدي اللي اتعملت ليا.

_ كتر السلام تكثر المعرفة، واحنا نتهنا على الجيران إن الأمور لسه شوية، لكن تعمل إيه بقى، حَبّوا يوجّبوا.

وهكذا أمضيت ربع ساعة من الكلمات المتقاطعة بالضحكات حتى سمعت صوت نحنة خفيفة من وراء الستارة.

فضحك الرجل نفس الضحكة الغبية وهو يقول:

_ تعالي يا عروثة ، تعالي يا ولاء.

العروثة!! أيوه الاسم كدا .. أبو صلاح بينطقه كدا.

دخلت فتاةً جميلةً لم تكن ترتدي ملابس مثل سمر وأيضاً لم تكن
مثل هند، جلاباب طويل عليه إيشارب صغير مع شوية مكياج على
الخفيف، البنت جميلة جداً وشكلها مؤدبة..

شكلها هيّ دي اللي عليها العين والكلام، تسلم دماغك الجزمة يا
رفاعي..

_ أخطّ الصينيه فين يا بابا؟

البنت شكلها هيلة.

_ قدام عريسك يا عروثة.

قالها صلاح مطلقاً نفس الضحكة الغبية فنظرتُ إليه:

_ رفاعي بيقول إنك بتعمل شاي حلو يا عم صلاح.

ابتسم عم صلاح بخُبث:

_ ماشي يا عم هخليلك الجو.

وقام من مكانه وهو يغمز لي بعينه.

_ حد يفهمّ الراجل ده إني قاعد مع بنته مش واحد صاحبي.

تأملت الفتاةً بإعجاب ملحوظ وهي جالسة أمامي:

_ يخرب بيت جمالك إنتِ صاروخ يا ولاء.

حل الخجل على وجهها فجأةً وانتفضت من مكانها وهي تصرخ

_ بابا، بابا.

انتفضت من مكاني محاولاً الفرار بسرعة ولسان حالي يردّد:

_ رُحت في داهية يا أحمد أمين.

اندفعتُ خارج حجرة الصالون محاولاً الخروج من الشقة فاستقبلني

العم صلاح بكرشه وهو يعيدني إلى داخل الحجرة بهدوء وهو يبتسم:

_ مش كده يا أستاذ أحمد، برّاحة على البنت.

شعرت بالقلق والارتباك وولاء واقفة خلف والدها تبتسم بخجل بالغ.

_ والله ما حصل حاجة يا عم صلاح هي قالت لك إيه؟

قبل أن يجيب العم صلاح دوت زغرودة أرض جو هزت أركان الشقة

ودخلت عليّ أم ولاء وجسدها الضخم يسد باب الحجرة مواصلةً إطلاق

الزغاريد.

_ أهلا بجوز بنتي أهلا أهلا.

_ ادخلي يا حاجة نوال .. تعالي.

جلست الحاجة نوال والعم صلاح وبجوارهم ولاء بينما جلستُ
أمامهم في انتظار ما سيُتلى عليّ من قرارات واتهامات، ودوى صوت
الحاجة نوال:

_ ولاء لسه قطة مغمضة، متخدش على كلامها وحركاتها، بكرا تتعود
وتبقى معاك زيّ الفل.

نظرتُ إلى ولاء بغيظ بالغ:

_ الله يخرب بيتك فضحتيني.

تدخل صلاح في الحوار:

_ وبعدين لسه الأيام جايه، وهتاخدوا على بعض مش كده يا عروثة.

ابتسمت ولاء بخجل وهي تهزّ رأسها بالموافقة.

_ طبعا يا بابا، بس هو فاجأني بالكلام ده.

_ ماشي يا بتاعت الدبلوم، صبرك عليا.

_ إحنا بكره خارجين، رايعين الجنينة نتفسح ونتغدّى وإننت معزوم يا

أستاذ أحمد.

قالها صلاح فرددت عليه بخجل:

_ مش بسرعة كده يا عم صلاح خايف أضايقكم.

ضربت نوال على صدرها فصقرت أذناي من صوت اللطمة.

_ ده كلام يا أحمد يا بني دا إنت تنورنا.

غادرتُ منزل ولاء وأثناء عودتي للمنزل رنّ هاتفي، كان المتصل رفاعي

وهو يتكلم بلهفة:

_ إنت فين؟ عايزك ضروري.

_ عايزني في إيه .. أنا مروّح ومش فايق أحكيك على حاجة.

_ عايزك في مشوار مهم .. فَرَح حرب دلوقتي.

_ أَحِيه .. إنت محشّش ياله.

_ لا والله ... قابل الناس وأعجبوا بيه من يومين والنهارده الفرح ..

الناس ماسكين فيه وفرحانين أوي.

_ فرحانين بحرب ربنا يسترها، شكلها نصبة من بتوع حرب.

قلّتها بثقة بالغة ورفاعي يبلغني بعنوان القاعة.

دقائق قليلة وكنت مع رفاعي أمام القاعة، التي كانت ممتلئة عن بكرة أبيها بالجلاليب واللحي .. ومن بعيد لمحتُ الشيخ قاسم وهو واقف بصحبة الوحوش رفاقه، فتحاشيت النظر إليه حتى لا يراني، خاصةً الشيخ أبو سفيان.

_ رفاعي، إحنا جينا فرح غلط .. استحالة حرب يكون هنا.

قلتُها في قلق وأنا أجذب يد رفاعي محاولاً مغادرة المكان بسرعة.

_ ولا استحالة ولا حاجة ..

قالها رفاعي وهو يشير أمامه فلمحت حرب واقفاً يصافح بعض المشايخ، كان حرب يرتدي جلباباً وطاقيةً بيضاء لكن الأُغرب كانت لحيته، كيف استطاع ذلك المأفون أن يجعلها تنمو في غضون يومين.

_ مجرم من يومك يا حرب.

توجَّهت مع رفاعي نحو حرب وما إن رأني حتى ابتلع ريقه بصعوبة وبدا عليه التوتر واقترب مني متظاهراً باحتضاني وهمسٍ في أذني:

_ أبوس إيديك يا سيد الناس، إمسك لسانك النهارده، وعدِّي الليلة

على خير.

_ إنت نيّلت إيه وهتجوز مين؟

فجأة سمعت زئيراً من خلفي فاستدرت لأرى الشيخ أبو سفيان المسلم
يرمقني بغضبٍ بالغٍ وهو يقول:

_ إنت تعرف الأستاذ أحمد يا شيخ حرب؟

_ أحيه وكمان شيخ يا حرب!!

ابتلع حرب ريقه بصعوبة وهو يقول بتوتّر:

_ الأستاذ أحمد والأخ رفاعي كانوا بيحضروا ليا بعض الدروس
والخطب قبل أن ينحرفوا.

_ إزيك يا شيخ أبو سفيان

قلتها بحدّة وأنا أنظر إليه بغضب فردّ عليّ بحدّة مماثلة:

_ الحمد لله الذي نجّانا منك ومن شرورك .. ما الذي جاء بك إلى هنا؟

_ مش قالك كنت بحضر دروسه وخطبه .. الشيخ حرب بحر علم
وكلنا أتباعه.

تدخّل رفاعي في الحوار:

_ يا جماعة هدّوا الأمور .. ده كان سوء تفاهم وراح لحاله .. بس
مقلّتش لنا مين العروسة يا حرب.

ردّ أبو سفيان بحدّة وهو يرمقني بغضب بالغ:

_ العروسة ابنتي فيحاء.

_ فيحاء !!!! يا دي الكسوف ..

قلتها بدهشة وأنا أتذكر الموقف، فشعرت بالخجل وأكملت بسرعة

_ عامةً ربنا يتمم بخير .. احنا جاينين نبارك يا شيخ حرب ..

_ الله يبارك فيك يا أستاذ أحمد.

قالها حرب والخشوع جاحظ من عينيه، فرددت عليه بصوت عالٍ:

_ الليلة دي مباركة .. بلاش نجاسة وحشيش وأفيون فيها.. خلّي ربنا

يباركلك.

جَحَظت عيون حرب من هول الكلام بينما ارتجف جسد أبو سفيان

وهو يصرخ:

_ إنت بتقول إيه .. ما هذا الفسق!!

نظرت إليه بسخريةٍ قائلاً:

_ هو الشيخ حرب مقلش لك إنه بيشرّب حشيش!!

ارتجف جسد أبو سفيان وهو يُولول:

_ حشيش !!!

تدخّل رفاعي في الحوار:

_ هو كان بتاع نسوان بس تاب من حوالي يومين.

نظر أبوسفيان إلى حرب بغضب بالغ:

_ الكلام ده صحيح يا شيخ حرب؟

رد حرب بهلّع:

_ كانت تفارح كدا، بس تبت والله ... وناوي ألترم.

_ والله لأقتلنك .. يا ملعون.

_ لأ .. قتل لأ .. إحنا هنلغي الجوازة وناخده معانا نتوّبه بطريقتنا.

قلتها وجذبت حرب بعيدا عن أبو سفيان الذي هتف بصوت عال

_ مفيش خروج قبل ما يرجع الـ ٣٠ ألف ج اللي أخذهم مّي

نظرت إلى رفاعي وغمّزت له:

_ مش قتلنك .. نصبة من بتوع حرب.

ولول أبو سفيان قائلا:

_ ده قالّي هيعمل مشروع دواجن في البلد عندهم ومكسبه كبير ..

أغيثوني يا إخوة.

تناهت صرخات أبو سفيان إلى مسامع الشيخ قاسم فاتجه ناحيتنا
والشرار يطق من عينيه وهو يقول بحدة:

_ ويحك يا أيها الزنديق ما الذي جاء بك إلى هنا؟

قبل أن أرد عليه وقعت عيناه على حرب فجحظت عينا قاسم وهو
يصرخ:

_ أليس ذلك هو الملعون الذي أحضر لك الورد في الفلانتين.

قبل أن يتجمع الإخوة علينا ويقوموا بعمل الواجب .. كنا قد أنهينا
الأمر مع أبو سفيان وقاسم وخرجنا بحرب سليم معافى.

_ ضيَّعت عليا الجوازة والسبوبة منك لله يا بعيد.

قالها حرب بغضب هادر بعد أن نجونا من الفخ فهوت يدي على
وجهه لتسكته.

_ يا غشيم .. بدل ما تشكرني إني أنقذتك منهم .. إنت عارف لو
اكتشفوا حقيقتك بعد الجواز هيعملوا فيك إيه؟

_ ولا حاجة .. أنا كنت سايبك الدور عليهم ..

_ كانوا هيقطعولك حاجة مهمة جدا يا حرب

_ يا ساتر ساتر ..

قالها رفاعي بخوف بينما ارتعدت فرائص حرب وصمت تماما
فأكملت:

_ هيقطعوك صابعك اللي ختمت بيه في قسيمة الجواز.

_ يا أخي خوِّفتني .. أنا فكرت ال...



كان رفاعي قد جهّز لي ما تيسر من كُتُب في مجال العلم والثقافة، ولم
أترك لحظة تمر هباء، في الصباح لابد أن أكون مثقفا.

أرسلتُ حرب لشراء تيشيرت يحمل صورة جيفارا، فسألني بدهشة

_ مين جيفارا ده يا سيد الناس؟

_ امبارح قرأت كتير عن الرجل ده وعجبتني دماغه وطلع راجل مشهور

أوي.. هروح وأنا لابس التيشيرت.

لم تكن تلك عزومةً عاديةً بل مذبحهً بكل ما تحمله الكلمة من
معاني، كنت جالساً وسط جِلل المحشي وصواني المكرونة والرُّقاق
والبطاطس والعائلة المصونة تقوم بعملية فرم أوّلي لكل ما يدخل الفم.

_ ماتاكل يا أستاذ أحمد، إنت مكسوف ولا إيه!!

_ لا يا عم صلاح، شبعت الحمد لله ، هقوم بس أنا وولاء نتمشى
شوية عشان تهضم أصل المحشي غلط عليها.

مضمصت نوال شفتها بامتعاض:

_ غلط إيه ده أنا لما كنت في سنها، كنت بضرب حلة محشي لوحدي.

ابتسم العم صلاح ببلاهة:

_ ما هو شعري طار بسبب كدا.

زعقت نوال في وجهه:

_ نعم يا خويا!!!

على الفور جذبتُ ولاء من بينهما:

_ قومي أمك هتردح لأبوكي.

أخذنا نتمشى في الجنيينة وأنا أبحث عن مدخل لكلامي مع ولاء، وأخيرا

قلت:

_ مش كنت اتغديت النهارده أنا وانتي في مكان لوحدنا!.

ردت ولاء في حسرة واضحة:

_ ياريت كنا روحنا مطعم الكشري اللي في الميدان وكل واحد ضرب طبق من أبو خمسة جنيه، وشطة ودقة وندهُول الدنيا.

_ يخرب بيت دماغك إنتِ بتقولي إيه.. سيبك من الأكل خالص دلوقتي، أنا عايز أكلمك عن نفسي، عشان تفهميني وتفهمي شخصيتي.

نظرت إليّ في صمت تام وهي تهزّ رأسها بينما أخذت أنا في الكلام:

_ أنا أوّمن بالحرية الفكرية، والتعددية المجتمعية، وبضرورة العمل على حل مشكلة الاحتباس الحراري، وأنه من الضروري وضع استراتيجيات حتمية لمواجهة حالة اللامعقول التي تضرب العالم من كل جهة، وأن نصبح جميعا في حالة انسجامية تعاونية كعازي في الكمنجة.

مش عارف رفاعي جاب ليا الكتب دي منين، أنا نفسي مش فاهم حاجة من الكلام ده.

فَغَرْتُ الفتاةَ فَمَها من الدهشة وهي تقول بصوت خفيض:

_ إنتِ بتتكلم زي بتوع التلفزيون، أنا مش فاهمة حاجة.

أيقنتُ أن كلامي قد أصاب محلّه فسألْتُها مباشرةً

_ كلميني عن نفسك.

_ يعني إيه؟

_ يعني إيه الحاجات اللي بتحبها، والحاجات اللي بتكرهها كده يعني

اندفعت الفتاة في الكلام:

_ بحب البامية والمحشي، والملوخية وبكره الكوسة، والسبانخ وبحب

الأهلي، وأبويا، وأمي، والراجل اللي هيبقى جوزي.

كدتُ أن أسقط أرضاً من هول المفاجأة لكن استجمعت قواي

وتمالكت أعصابي:

_ بصّي يا ولاء، أنا هبسّطلك الأمور أكثر كلميني عن ذكرياتك، حياتك،

عن المدرسة.

بشبهه روح ردّت الفتاة:

_ ما تقول كده من الأول، بص يا أخويا في آخر يوم في المدرسة وأنا في

دبلون تجارة في سنة تالته تالت، حصلت خناقة كبيرة، الواد زيكو كان

ماشي مع البنت سميرة، راح الواد اللي كان ماشي مع سميرة في الأول عرف

من البت اللي ماشية معاه دلوقتي (ريهام)، راح جايب الموتوسيكل

الصيني، ووقف قدام المدرسة، وسميرة خارجه عشان تركب الموتوسيكل

مع زيكو (هو برضه عنده موتوسيكل صيني)، راح جابر طلّع المطوة القرن

غزال وغزّ زيكو في كرشه سيّحه في دمه، والناس اتلّمت واحنا قعدنا

نصوّت ونعيّط وكدهوه.

_ بس يا بت أُسكتي خالص إنتِ بتقولِي إِيه!!

صرختُ فيها بصوتٍ غاضبٍ كهزيم الرعد فتوجه العم صلاح ناحيتنا
بسرعة:

_ جرى إِيه .. إِيه اللي حصل، في إِيه ولاء، إوعي تكوني زعلتي عريسك؟

_ بَعْدَ يا راجل إنتِ لاسيِّح دَمَك، زي ما جابر سيِّح دم زيكو، لما أشوف
المصيبة دي.

_ جابر مين وزيكو مين؟

_ ابقى اسألها وهي تقولك.

نظر إليّ الرجل بخوفٍ بالغ:

_ هديّ أخلاقك يا أستاذ أحمد، ولو ولاء مش عاجباك، أجوزك
أختها هناء دبلون زراعة.

انفجرتُ صارخا في وجهه فهرب الرجل من أمامي بينما جذبتُ ولاء
بعيدا عنهم.

كانت الفتاة تنظر إليّ في خوف بالغ فتبسّمت في وجهها محاولا تهدئتها

_ متخافيش يا ولاء، كل ما في الأمر إنِي عايز عروستي تكون مثقفة ...

وبس.

صمتُ قليلاً ثم حملت في وجهها متسائلاً:

_ إنتِ مثقفة يا ولاء؟

نظرت إليّ بدون فهم ثم هزّت رأسها بالموافقة وبعدها بالنفي مباشرة

وبصوت مرتجف أجابت:

_ مش فاهمة!

_ شايفة التيشيرت بتاعي.. عليه صورة راجل.. ده مين؟

نظرت ولاء إلى صورة جيفارا بتفحص بالغ ثم قالت بطريقة أشبه ما

تكون بالزدح:

_ عارفاه يا أخويا إنت مفكرني جاهلة يا أستاذ أحمد!!

_ شاطرة يا ولاء مين؟

_ ده أول واحد شرب السجاير الكفتة، وعشان كده بيحطوا صورته

على الهدوم.

تم حذف ما حدث في تلك اللحظة بناء على طلب الرقابة لأنه لا يصح

نشره.

كانت جلسةً صاخبةً تلك الليلة في قهوة بلبل ورفاعي يصرخ مستنجداً

برؤاد المقهى.

_ إنت زعلان إنها معرفتش جيفارا ليه؟ إنت نفسك مكنتش تعرفه
لحد امبارح!!

قالها رفاعي وهو يحاول أن يتفادى ضرباتي، فرددت عليه وأنا أصفعه
الكف الأخير:

_ اللي مزعلني وحارق دمي إنها بتفتي .. مش عارفة، تسكت خالص ..
لكن تفتي وتخترع ده اللي حارق دمي، وديني ما هسيبك إلا لما آخذ حقي
منك يا رفاعي.

_ إنت خدت حقك وزيادة يا أستاذ أحمد .. والراجل اتهدل .. اقعد
وفهمني إيه اللي حصل؟

قالها الأستاذ خيرى فأذعنت احتراماً له ولسنته، فهو رجل كبير في
السن وعلى المعاش، ويتمتع برجاحة عقل وآنزان في الرأي، حكيث له
الأمر من بدايته فضحك الرجل طويلاً وهو يقول:

_ طب رفاعي عمل اللي عليه وجاب لك كل الاتجاهات اللي في السوق
مفيش اتجاه منهم عجبك؟

_ كلهم زفت وقطران يا أستاذ خيرى .. ما أنا حكيثلك اللي حصل.

تهدّ الأستاذ خيرى وهو يبتسم ابتساماً حزينةً.

_ عارف يا أحمد .. إحنا مشكلتنا في إيه؟

لم ينتظر مني رداً وأردف قائلاً:

_ مشكلتنا في السطحية .. أيوه في السطحية .. كل أصحاب الاتجاهات دي خدوا القُشور بس وسابوا لبّ الموضوع .. الليبراليين مثلا سابوا أفكار زي الحرية وتقبّل الرأي والرأي الآخر وغيره من الحاجات الجميلة داخل الليبرالية واتمسكوا بحاجات تافهة زي موضوع الحرية الجنسية والكلام الفارغ ده، والسلفيين سابوا المنبع الصافي للدين وجوهره اللي بيخضّ على مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الناس واتمسكوا بالشكليات زيّ اللحية والنقاب وبعض الأفكار المتزمتة البالية، حتى اليسار نفس القصة مازال بيحارب في أمور انتهت وزالت من سنين بدون ما يطوّر في نفسه ويبص للأمر بواقعية، بس في النهاية العيب عليك يا أحمد لأنك كنت بتدوّر غلط.

_ بدور غلط!! إزاي؟

_ اللي إنت عايزه قدامك من الأول بس إنت اللي اخترت حاجات غريبة ومرببة.

_ مش فاهم يا أستاذ خيرى، ياريت توضح أكثر

_ إنت عايز عروستك إزاي؟

تلعثمتُ قليلا وأصابني الارتباك، واستجمعت أنفاسي بصعوبة.

_ عايزها مؤدبة وبنيت ناس، وتكون متدينة بس متكونش متطرفة وفي نفس الوقت تكون متفتحة.

_ وإيه تاني؟

_ وتكون مثقفة وفاهمة بس بعقل مش بتهور، وتكون طيبة بس مش ساذجة.

_ طلبك سهل ومتوقّر يا عم أحمد وكلمة واحدة كانت وقّرت عليك ده كله.

_ كلمة إيه؟

تهدّ الرجل وهو يقول بثقة واضحة:

_ مصريّة ..

قالها الأستاذ خيرى بهدوء وسكينة .

فسألته مستفسرا:

_ إيه .. مصريّة!!

_ طبعا.. كنت قلت لرفاعي عايز عروسة مصرية، وهي دي طلبك يا أحمد واللي بتدوّر عليه.

هَبَّ رفاعي من مكانه صارخا بفرح:

_ طلبك عندي ومتوفرة ..

لم أمهل رفاعي حتى يتم كلامه فقد أسكته تماما.

ملحوظة:

رفاعي في الإنعاش دعواتكم له بالشفاء العاجل..

النهاية

تمت بحمد الله